

قبضة الشيطان الذهبية

قصة : فكتور كايننج
ترجمة : إيناس النجار
إعداد : د. أحمد خالد توفيق

روايات عالمية للجيب

سلسلة جديدة ، تقدّم لك أروع ما يزخر به الأدب العالمى ، فى مختلف صنوفه ..

من الألغاز البوليسية إلى الرواية الرومانسية ..

من عالم المغامرات إلى آفاق الخيال ..

من الفروسية إلى دنيا الأساطير ..

ومن الشرق إلى الغرب ..

وإلى الحضارة ..

وإليك ..

د. نبيل فاروق

- ١ -

وقفت موظفة الحسابات الحسناء ترمق (أندرو رايكس) فى إعجاب بينما هو يراجع فاتورة حساب الفندق ..

كان يرتدى سترة صوفية تلائم لون عينيه تمامًا فوق قميص أبيض ناصع البياض ، وكان وجهه الوسيم القسيم - الذى اكتسى باللون البرونزى - يشع ذكاء ..

لكن الفتاة - حين حاولت أن تسترجع معالم وجهه فيما بعد - لم تستطع ، ولم تدرك أن هذه مزية هامة من مزايا (رايكس) المتعددة .. لا يمكن تذكر ملامح وجهه أبدًا ...

وحين فرغ من كتابة الشيك ووقعه باسم (جون أ. فرامبتون) أعطته الفتاة إيصال استلام .. فشكرها برقة وابتسم ..

عندئذ غزا عالمها شعور عجيب من الانتعاش .. كزهرة تخرج عبيرها للكون ، ولم تدر أن هذه مزية هامة أخرى من مزايا هذا الرجل ، ولم تدر كذلك أن هذا الرجل البشوش قادر - إذا دعته الحاجة - على قتلها دون أن تهتز له شعرة ...

شمس (لندن) الساطعة أخيرًا ..

إنها نهاية عصر .. عشرون عامًا من النصب والاحتيال قد انتهت بهذا الشيك بدون رصيد .. عشرون عامًا قضاها يحمل مئات الأسماء المستعارة قد ولت بلا رجعة ، واليوم يودع حياة الجريمة أبدًا ..

عشرون عامًا ـ منذ انغلق التابوت على أبيه ـ وهو يمارس كل الموبقات التى يمكن لفتى فى التاسعة عشرة من عمره أن يقترفها ..

كان اليوم رائع الجمال .. والذكرى تتحرك فى أعماقه ..

وإذ مشى فى شارع (سانت جيمس) كان يفكر فى النهر فى بلدته .. لابد أن المياه فاضت به وتلونت بماء المطر .. وكل ما يحتاجه للصيد هوَ طُعم جيد من حانوت (هاردى) ..

تمثلت لعينيه أسماك (التروت) اللامعة تتواثب معلقة فى صنارة الصيد فأحس بالحنين يغزو روحه ..

مرت أمامه فتاة ترتدى حذاء من الجلد الطرى وجوربًا فى لون بشرتها وتنورة صفراء عليها بقعة متسخة صغيرة عند طرفها ، وسترة بيضاء عليها صديرية خضراء ، طول الفتاة خمسة أقدام ونصف .. ووزنها مائة وعشرون رطلاً ..

لو أنه رآها بعد خمس سنوات فسيعرفها .. وتلكم مزية أخرى من مزاياه : إنه لا ينسى تفاصيل أى شىء ...

دخل حانوت (هاردى) فابتاع بعض الطعم وصنارة صيد .. ثم كتب شيكًا للبائع .. هذه المرة وقع عليه باسمه الحقيقى (أندرو رايكس) على حسابه فى بنك (إكستر) ..

ثم غادر المحل قاصدًا مقهى (راك) ..

هناك كان (برنزر) جالسًا بانتظاره إلى منضدة صغيرة عليها الأوراق النهائية وحساب المكاسب عن خمسة عشر عامًا عملا فيها معًا فى الشىء الوحيد الذى يجيدانه ..

لم يكن أحدهما يعرف اسم الآخر الحقيقى ، ولا يعرف ما إذا كان شريكه متزوجًا أم لا .. ولا أين يقيم ..

ولم يبد أحدهما أدنى فضول ليعرف هذه الأشياء ..

قال (برنزر) :

ـ لقد حولت رصيدك إلى بنك (سويسرى) وبالطبع أنا أعرف رقم الحساب ..

ـ سأقوم بتغييره فيما بعد ..

ثم ابتسم (برنزر) وهو يتأمل الأوراق :

ـ ما زلنا نستطيع الاستمرار والكسب أكثر ...

ـ لابد أن نتوقف فى لحظة ما .. يجب ألا نكون جشعين .

كان (برنزر) رجلاً ضئيلاً ذا كتفين مستكيرتين وصدر ضيق ، وجهه يلمع كالرخام ، وعيناه رماديتان لا حياة فيهما .. أما شعره الأشقر فبدأ يتساقط وسط رأسه منذرًا بالصلع .. لكن هذا الرجل ـ ذا المظهر العادى ـ كان داهية فى الحسابات والأرقام .. كأنه (كمبيوتر) آدمى .. ولم يكن ينسى التفاصيل مهما تضاءلتْ ..

ـ المفترض أن نتناول قدحًا من الشراب .

ـ لا مجال لهذه التقاليد ..

ـ إذن وداعًا ..

ـ وداعًا ..

وخرجا من المقهى ينتظران سيارة أجرة ..

وهنا قال (برنزر) السؤال الذى كان (رايكس) يتمناه :

ـ ماذا لو حدث مكروه لأحدنا فى المستقبل ؟ .

هزّ (رايكس) كتفيه :

ـ يعالج الأمر كما يتراءى له .. أنت لا وجود لك فى حياتى من الآن فصاعدًا ..

ودون كلمة أخرى وثب فى سيارة الأجرة .. لا مصافحات ولا وداع .. فلقد انتهت الشركة بينهما ...

★ ★ ★

وصل إلى (تاونتون) بعد الظهر فاستقل سيارته من هناك قاطعًا الأربعين ميلاً التى تفصله عن داره .. داره

التى يعيش فيها وحيدًا فيما عدا المسز (هاملتون) التى تنظف له المنزل وتعدّ الطعام ..

وبدأ يستعد لممارسة صيد الأسماك قبل العشاء حين سمع صوت سيارة فى الفناء فأيقن أن هذه هى (مارى) ..

(مارى) حسناء من أسرة ريفية لا تملك ثروة كبيرة لنفسها لكنها تملك اسم عائلة .. فتاة طيبة من أصل طيب مثله تمامًا .. ولهذا يريدها وسينتظرها رغم أنها تصغره باثنتى عشرة سنة ...

(مارى واربرتون) .. اسم جيد مشرف ، نشأت نشأة راقية وستكون خير أم لأطفاله ..

وفى العام القادم سيكون قد استعاد ملكية منزل أجداده (ألفرتون مانور) ، ويمكنهما أن يتزوجا هناك ..

كانت سمراء ممشوقة القوام .. وكان ما يحسه نحوها أقرب شىء إلى الحب .. وهذه هى بدايتك الحقيقية إذن ..

(أندرو رايكس) الرجل المهذب ذو الأملاك .. القادم من مقاطعة (ديفون) .. وزوجته الحسناء المخلصة ...

كان هذا تفكيرًا تقليديًا (فكتورى) النزعة .. لكنه كان حلمه الوحيد .. إن كل ما يريده من القرن العشرين لهو أن يجد فيه السبيل للرجوع إلى الماضى ..

الماضى الهادئ الذى يتوق إليه ..

- ٢ -

بعد شهرين - منتصف شهر نوفمبر - كان عائدًا إلى منزله مساءً بعد جولة طالت على شاطئ النهر ..

كان واثقًا أنه لن يجد مسز (هاملتون) هناك الآن .. الغسق يرسل ظلالاً شاحبة ما بين الأشجار وثمة بومة صغيرة تتوارى بين أشجار الحديقة صارخة ..

وفجأة رأى سيارة فى الممر المؤدى إلى المنزل تلتمع أرقامها فى الضوء الخافت .. أرقام من مقاطعة (كنت) .. أى أنها سيارة غريبة راكبها غريب وهو لا يحب الغرباء فى داره ...

ولم يحتج كثير ذكاء كى يعرف أن سائقها امرأة .. فثمة سترة أنيقة من (الشمواه) ملقاة على حافة المقعد ..

ورأى ضوءًا فى حجرة الاستقبال بداره ....

ومن فرجة الباب رأى يدها ترتكز على منضدة صغيرة .. أنامل خالية من الخواتم فى يد طويلة انسيابية .. الأظفار طويلة حمراء كفاكهة الكرز الطازجة ...

دخل إلى الحجرة فرأى وجهها الشاحب الذى أفسدت الأصباغ جماله ، شعرها الأحمر المموج الذى كومته على جانب واحد وعقد اللؤلؤ حول عنقها ......

- أرجو ألا أكون أزعجتك .. لقد سمحت لى مسز (هاملتون) بالدخول قبل رحيلها .. أنت مستر (رايكس) على ما أظن ؟

- هو بعينه ..

- أنا (بللا فيكرز) .. اسمى الحقيقى هو (مابيل) لكنه اسم قبيح أليس كذلك ؟

- أوه .. إنه اسم لا بأس به

- أوه .. أشكرك

- ماذا أستطيع تقديمه لك يا آنسة (فيكرز) ؟

استرخت فى مقعدها .. وقالت :

- عندى رسالة لك ..

- ما هى ؟

قالها وجلس أمامها مثبتًا مرفقيه على ركبتيه ..

قالت فى ارتباك :

- يا إلهى !.. إن هذا محرج جدًا .. لقد طلب منى أن أبلغك الرسالة وهو من سيؤكد لك جدية الموضوع ..

وناولته مظروفًا من ورق (المانيلا) الثقيل الأصفر المختوم بالشمع الأحمر ..

- لا أعرف محتواه .. فقط علىّ أن أسلمه لك مغلقًا مختومًا وعليك أن تعطينى إيصال استلام به ..

فتح المظروف فوجد بداخله ورقة صغيرة مطوية كُتب عليها (جون فرامبتون) !.. حدق فى الورقة برهة ثم صبّ لنفسه قدحًا من الشراب وجرعه مرة واحدة ..

ثم إنه نهض إلى المدفأة فأشعل النار فى الوريقة ممسكًا بها من طرفها حتى تحولت إلى رماد ، وعاد إلى المقعد .. ناولته الفتاة إيصالا وقلمًا .. فوقع الإيصال وهو ينظر نحوها شاردًا ..

مس (بيللا فيكرز) متوترة الأعصاب .. يومًا ما سيقتلها .. نعم !.. لا شك فى هذا ...

سألها وهو يناولها قدحًا :

ـ والآن ما المطلوب منى بالضبط ؟

ـ غدًا صباحًا .. سأصحبك إلى موعد يستغرق ثلاث ساعات ..

ـ فهمت .

الصدمة عميقة فى روحه .. كان يخشى هذه اللحظة ويرجو ألا تأتى أبدًا .. وكان ـ رغم هذا ـ واثقًا أنها لن تأتى أبدًا .. لقد كان حريصًا دائمًا .. فكيف عرف هؤلاء الاسم الذى كان يزاول به نشاطه ؟

ـ سأحضر لاصطحابك فى التاسعة صباحًا ..

كانت مرتبكة ومتعاطفة معه إلى حدّ ما .. ابتسم لها فى رقة ومدّ يده يصحبها إلى سيارتها ..

فتح لها الباب وهو يتأمل مؤخرة عنقها .. عنقًا واهنًا عاريًا .. لم لا ؟ ضربة واحدة منه تقتلها .. لكن لا جدوى من هذا الآن ..

فهى ليست المسئولة الوحيدة عما يحدث ..

وفى شرود راقب سيارتها وهى تبتعد ...

★ ★ ★

فى فراشها بالفندق راحت تفكر فيه ..

إنها تعرف طرازه من الرجال ذوى الثقة الزائدة بالنفس .. الكبرياء التى لا تتزعزع حتى لو كان الواحد منهم أجيرًا فى بقالة ..

لكنها ـ رغم هذا ـ أحست بالأسى من أجله ، ألم تمرّ هى ذاتها بكل ذلك من قبل ؟..

الشعور المريع بعدم الأمان .. الشرخ فى زجاج السلامة ..

لم يكن هو أول رجل تناوله مظروفًا أصفر ختم بالشمع الأحمر ... لكنه كان أول من يأخذه دون أن يرتبك أو يبدو عليه الوهن ..

نهضت إلى مرآة الزينة وشرعت تتأمل وجهها ..

(مابيل فيكرز) .. مولودة فى فبراير ١٩٤٥ .. حياتها الأسرية خالية من الاستقرار .. والدها متوف وأمها أنانية لم تعبأ بها قط ..

وفى عام ١٩٦٢ كانت فى (لندن) تتقاسم المسكن مع فتاتين أخريين وتعمل فى مكتب للتأمين ، كان ذلك حين بدأت - ولا تعرف السبب - تسطو على المحلات أثناء فترة الظهيرة .. واعتادت بيع هذه السلع لصاحباتها بأثمان رخيصة زاعمةً أنها (بارعةٌ فى فن الشراء) ..

بعد هذا عملت فى بنك (أوفرسيس ميركانتل) .. وعندها تخلت عن السرقات الصغيرة لأنها أدركت أن لها ملكة غير عادية فى التزوير .. بدأت تختلس وتختلس عازمة على أن تجمع مبلغ عشرين ألف جنيه ثم تفرّ بعيدًا ..

وذات يوم استدعاها رئيس مجلس الإدارة إلى مكتبه .. أوصد الباب ثم قام بتهنئتها على مهارتها الخاصة فى الأرقام ومنذ ذلك الحين تمت ترقيتها إلى سكرتيرة خاصة شخصية له ، ولم يعد من حقها أن تتساءل ما إذا كانت سعيدة فى حياتها أم لا .. كان كل ما يحتاجه هو مكالمة هاتفية تلغى حياتها وحريتها ..

غدًا تصحب المدعو (رايكس) إلى رئيس مجلس الإدارة .. ولن تعرف أبدًا أى اتفاق سيتم بين الرجلين .. لكنها واثقة أن الأمور لن تظل كما هى فى حياة (رايكس) ..

* * *

كان جالسًا جوارها فى السيارة يرقب الطريق سائلاً :
- ماذا تعرفين عنى ؟
- القليل .. اسمك وعنوانك .. لا شىء غير هذا ..
سرح (رايكس) ببصره .. يتأمل قنوات لامعةً من الماء الفضى تتسابق فيه أسماك (التروت) .. الصيد جنته وحبّه الوحيد منذ خرج مع أبيه يصطادان لأول مرةً ..
السيارة تمشى فى شارع فرعى لتدخل من بوابة حديدية واسعة .. وفى الأفق منزل ضخم من الحجارة الرمادية .. ثمة بحيرة صغيرة تسبح فوق مائها زهور (الليلاك) البيضاء ..
- اصعد درجات السلم وستجد كوخًا ينتظرك هو فيه ..
- وأنتِ ؟
- سأظل هنا حتى تعود ..
وضع يديه فى جيب سترته وصعد فى السلم متأملاً درجاته ، وانعكاس ضوء الشمس على مياه البحيرة ..
ودخل الكوخ الذى لم يكن سوى حجرة واحدة كبيرة بها نوافذ عديدة تفصلها نباتات متسلقة رائعة الجمال ..

وقرب أحد النوافذ وقف رجلٍ متوسط الطول يرتدى قميصًا حريريًا أبيض وسروالاً من الكتان الأزرق - إن (رايكس) لا ينسى التفاصيل أبدًا - .. وكان قبيح الوجه، أحمر الجلد، مشوه الملامح كأن يدًا ضخمة هرست معالم وجهه ..

أذناه بعيدتان عن جمجمته، وشعره الرمادى الخشن أشبه شىء ببساط أبيض استحال لونه رماديًا من كثرة ما داسته الأقدام .. وثمة شارب عملاق بنى اللون كأنه ملصق هناك تحت أنفه ..

قال الرجل فى ثبات :

- اجلس يا مستر (رايكس) .

فجلس (رايكس) على مقعد جوار المنضدة ..

- تفحّص هذا الملف بينما أعدّ لك مشروبًا ..

- من أنت ؟

- اسمى (سارلنج) .. (جون يوستاس سارلنج) .. هل سمعت به ؟

- أظن هذا ..

- إنه اسم جميل ومن المؤسف أن يكون صاحبه بهذا القبح .. لا عليك .. أنت تشرب (البراندى) فى هذا الوقت من النهار .. أليس كذلك ؟

كان صوته هادئًا رتيب الوقع كجراح يهدئ روع مريضه قبل الجراحة ..

- بلى ..

فتح (رايكس) الملف .. كان يحوى أوراق (فلوسكاب) مثبتة بمشبك أوراق .. وبدأ يقرأ ..

كان كل شيء مدونًا .. أخواه الأكبر منه اللذان هلكا فى الحرب العالمية الثانية .. أمه التى توفيت عام ٤٥ .. بيع مسكن (ألفرتون ماتور) .. وفاة الأب .. ثم :

عمل (رايكس) لمدة عامين مع شركة (مورجت) للاستثمار وتركها باختياره عام ١٩٥٠ ، ومنذ ذلك التاريخ لم يعمل عملاً مشروعًا قط ولم يستعمل اسمه الحقيقى فى أية عملية .

وفى الأوراق التالية كان يجد فى كل صفحة أحد أسمائه المستعارة أو اسم إحدى الشركات الوهمية التى أسسها مع (بيرنزر) للنصب على الحمقى ..

كل التفاصيل كانت هناك .. تم جمعها بعناية فائقة ...

أغلق (رايكس) الملف وقال :

- بدأت أفهم قصدك .. والآن ماذا تريد ؟

أشرق الوجه فصار مريعًا فى قبحه :

- يجب أن تفهم يا مستر (رايكس) أننى لا أبغى



فتح (رايكس) الملف .. كان يحوى أوراق (فلوسكاب) مثبتة
بمشبك أوراق .. وبدأ يقرأ ..

بك سوءًا وإلا كانت الشرطة هى التى زارتك بدلاً من مس (فيكرز) .. كم دفعت لاستعادة (ألفرتون مانور) ؟

ـ خمسة وثلاثون ألفًا ..

ـ لقد فعلت ما فعلت من أجل استرداده .. أليس كذلك ؟

تنهد (رايكس) فى إنهاك :

ـ لقد وثق أبى فى أصدقائه .. تركهم يبددون أمواله .. وحتى حين أفلس تمامًا واضطر إلى بيع البيت ظل واثقًا فيهم .. البيت الذى آوى أسرتى أربعمائة سنة .. أنا لا أبالغ .. هذه هى الحقيقة .. لقد خسر أبى كل شىء ولهذا مات .. عزمت أنا على استعادة منزل أجدادى .. قبل أن أبدأ الحياة التى اخترتها لى ولأولادى من بعدى .

ـ وما نوع هذه الحياة ؟

ـ الثراء .. الاستمتاع بمباهج الحياة الأسرية البسيطة . إننى أومن بالاستمرارية يا مستر (سارلنج) وهى شىء مختلف عن البقاء حيًا .

ثم أشار للملف وتساءل :

ـ ولكن هلا تفضلت بإخبارى بالطريقة التى عرفت أنت بها كل هذا ؟.. ما هو الخطأ الذى وقعت فيه أنا أو شريكى ؟

ـ الواقع أنه لم يكن هناك خطأ .. لقد مات الرجل الذى أنجز هذا العمل منذ ستة شهور بعد أن جمع البيانات التى فى ملفك وملف (برنزر) وآخرين سواهم .. أشخاص يهمهم ألا تقترب الشرطة منهم أو تشك فيهم .. بعض هؤلاء استخدمتهم وبعضهم لن أستخدمهم أبدًا ولن يعرفوا أننى عرفت سرّهم .. إننى أجمع الناس يا مستر (رايكس) بالطريقة التى يقوم بها غيرى بجمع الكتب النادرة أو اللوحات الفنية .. كان هذا الرجل يعمل عندى .. ألمانيًا عمل فى (الجستابو) أيام الحرب وكان شديد الولع بالتفاصيل .. اعطه أية مشكلة فلا يهدأ باله حتى يحلها وينتظر أن تعطيه غيرها .. هل تتذكر شركة توريدات (سيلفرتون)؟

ـ حتمًا ..

قالها (رايكس) وهو يملأ قدحه بالشراب دون استئذان ، فالعلاقة بينهما قد تعدت مرحلة الآداب الأولية ...

ـ لقد قمت أنت ببيعها فى عملية نصب بارعة الذكاء .. وكانت شركة نبيذ (استوريا) هى الضحية ، وكنت أنا رئيس مجلس إدارة هذه الشركة الضحية .. وحين اكتشفنا عملية النصب كلفت أنا رجل (الجستابو) كى يجد لى من خدعنا .. هل تتذكر المكتب الخالى الذى تركته لنا فى شارع (ديوك) ؟.. لقد بحثنا فيه فلم نجد شيئًا يدلّ عليك .. فقط

كان هناك كتالوج حانوت (هاردى) لأدوات الصيد .. لابد أنك نسيته هناك .. كانت هذه هى لعبة (الجستابو) التى يحبها .. ففى الكاتالوج كانت هناك نقطة صغيرة حمراء أمام صنارة صيد .. مجرد نقطة .. لكن رجلنا أدرك أن من يضع علامة كهذه أمام صنف فلابد أنه سيشتريه .. وكان من السهل إذن الحصول على قائمة بأسماء كل مشترى هذه الصنارة فى ذلك العام .. ثم بدأ البحث والتحرى عن أصحاب الأسماء واحدًا تلو الآخر . ثم صوّرهم وعرض الصور على من نصبتم عليهم .. إن هذا هو العمل الذى يحبه رجلنا ويتعيش منه .. فهل تعتبر النقطة الصغيرة الحمراء خطأ من جانبك ؟..

ـ وهل اتصلتم بالآخر ؟

ـ تعنى زميلك (برنزر) ؟.. ليس بعد لكنى بحاجة إليكما معًا .. هى عملية واحدة .. بعدها تغدوان حرّين فى العودة لحياتكما التى تريدان ، ولن أضايقكما ثانية بل سأجزل لكما العطاء .

ـ عملية غير مشروعة ؟

ـ طبعًا !

تأمل (رايكس) المشهد من النافذة .. الأغنام ترعى فى المروج الخضراء غير عالمة بمأساته ، قال وهو يضع كأسه :

- إن ملفى وملف (برنزر) معك هنا .. فلم لا أفجر رأسك الآن بمسدسى ثم أخرج وأقتل مس (فيكرز) وآخذ الملفين ؟!

وأخرج مسدسه ووضعه على المنضدة ..

- هل تفعل ذلك حقًا ؟

- طبعًا .

- هل قتلت أحدًا من قبل ؟

- لا .. لكنى لن أجد صعوبة فى ذلك ..

- إذن - لكى أريحك من التفكير - أصارحك أن محامىّ لديه نسخة من كل هذه الملفات مع رسالة تقول له أن يطالع كل محتوياتها لو أننى مُتّ فى ظروف غامضة .. هل هذا كاف ؟

- لكننا سنبقى تحت رحمتك بقية حياتنا .

- لكنكما - وقتها - ستكونان شاهدين علىّ .. وبذلك أكون أنا أيضًا تحت رحمتكما .. وستكون كفتنا متساوية ..

ووقف فى حزم معلنًا انتهاء المحادثة .. فسأله (رايكس) :

- هل تعرف مس (فيكرز) شيئًا عنى ؟

- هى لا تعرف سوى اسمك .. إ .. بالمناسبة : إن اسم (برنزر) الحقيقى هو (أوبرى كاتويل) ويعيش فى

رقم (٣) (برنسيس تيراس) فى (برايتون) .. يجب أن تتصل به ..

ثم ناوله لفافة صغيرة ، وقال له أن يفتحها فيما بعد ..

وفى صمت سار (رايكس) عائدًا إلى السيارة التى تنتظر بها مس (فيكرز) وركب جوارها ..

تساءلت وهى تدير المحرك :

- هل رأيت وجهه ؟ من الغريب أنك بعد فترة لا تراه قبيحًا إلى هذا الحدّ ..

شعر بالحنق .. فهتف :

- لا يهمنى وجهه إلا حين أراه ميتًا .. ولا داعى لمصارحته بهذا لأنه يعرف !

★ ★ ★

فى البيت فتح اللفافة التى أعطاه (سارلنج) إياها .. كانت نسخة من أول كتاب بالإنجليزية عن صيد الأسماك - يعود تاريخه إلى ١٨٨٠ - وبداخله وجد رسالة من (سالنج) تقول :

(الرجا التوجه إلى الشقة رقم عشرة جالواى هواس .. ماونت ستريت .. يوم الأثنين القادم للحصول على التعليمات) ..

اللعنة على هذا الوغد ذى الوجه القبيح !، الذى صار سيده الآن .. والسبب : بقعة من الحبر الأحمر فى كتالوج ..

الغضب والحنق يغليان فى دمه ..

فتح دائرة معارف الأعلام (من هو من ؟) باحثًا عن اسم (سارلنج) وكان أن وجده بالفعل .. لكن لا شىء يهم بخصوصه سوى أنه رئيس مجلس إدارة عدد كبير من الشركات التجارية والصناعية .. له منزل ريفى فى (ميون بارك ـ ويلتشاير) .. ربما كان يحفظ الملفات هناك ؟..

لا جدوى .. أعاد دائرة المعارف إلى المكتبة ..

اتصل بـ (مارى) وأخبرها أنه بداية من الأسبوع القادم سيكون فى (لندن) فترة من الوقت ، لم يذكر لها أية تفسيرات ولا تفاصيل .. ولم تكن هى بطبعها فضولية .. فهى من عائلة ريفية تقليدية لم تعتد نساؤها مناقشة الرجال فى أعمالهم .

★ ★ ★

يوم الاثنين صباحًا ركب القطار إلى (بادنجتون) وقد استقر كل شىء فى ذهنه .. لابد أن يزيل (سارلنج) من الوجود .. وبعده (فيكرز) .. لكن أولا لابد من الحصول على الملفات وصورها ..

ركب سيارة أجرة إلى (جالواى هاوس) .. ثم دخل المبنى وسار فوق البساط الأحمر إلى الشقة رقم (١٠) .. وهناك ـ على الباب ـ وجد لافتة تقول (مستر ومسز فيكرز) ..

دق الجرس ففتحت (بيللا فيكرز) الباب .. قالت له :

ـ تفضل .. قمت بإعداد بعض اللحم البارد والسلطة إذا كنت جائعًا .

أدرك أنها تنتظره .. ودخل وراءها الشقة التى كانت مثل مئات غيرها .. ردهة صغيرة وغرفة ثياب ونافذة تطل على الحمام ومطبخ صغير .. وبالنسبة لأى شخص معه بعض المال ويعرف كيف يتصرف كان من الممكن تأثيثها كلها فى ساعة واحدة ....

ـ هل الشقة مؤجرة مفروشة ؟

ـ نعم ..

سار نحو الحائط يتأمل صورة معلقة لجياد بيضاء تتسابق فى سهل .. كانت مائلة إلى حدّ ما وأدرك دون جهد أنها تدارى خزانة حائطية ..

سألها :

ـ متى يصل (سارلنج) ؟

ـ لن يصل ..

ـ ماذا تعنين ؟

ـ ثمة خطاب مغلق مختوم بالخزانة .. وعليك أن تفتحه وتعطيني إيصالاً به كما حدث مع الخطاب الآخر ..

ثم ترددت لحظة وأضافت :

ـ تعليماتي هي أن أعيش هنا معك وأن أكون في خدمتك .. سأحضر حقيبة ثيابي بعد ظهر اليوم ..

نظر إليها غير فاهم .. ثم تساءل :

ـ ماذا لو أنني رفضت ؟

ـ هذه تعليماتي .. ولئن كانت لديك اعتراضات فلتقلها له ..

ـ آسف إذا كنت أتحدث دون ودّ .. لكن الموقف يستأهل السخط .

تركته متجهة إلى المطبخ وارتدت مريولة صغيرة وشرعت تعدّ السلطة .. لقد نجح في إزعاجها واستثارة أعصابها .. وهل يظن أنها تحبّ ذلك ؟.. إن كل ما تريده لهو الخلاص من هذه المصيدة العفنة .. نظرت لوجهها البائس التعس في المرآة وتساءلت : لم لا يعود عليّ أي شيء أفعله بالنفع ؟.. حتى شعري .. قال الكوافير أنه سيكون جميلاً وها هو ذا يبدو غريبًا كعش العصفور ..

و .. حتى البيضة التى قشرتها .. لقد تهشمت بين أصابعها لأنها لم تكن تامة النضج .. وغطى صفار البيض أناملها ...



- ٣ -

فتح (رايكس) المظروف الذى وجده فى الخزانة ..
وقرأ الموجود به :

١ ـ طريقة إدارة العمليات : تقوم مس (فيكرز) بشراء المؤن وأوجه الصرف ، وتكون هى المسئولة عن الاتصالات معى .

٢ ـ دفع المبالغ للأشخاص يتم نقدًا من مبلغ الألفى جنيه الموجودة بالخزانة .

٣ ـ إجراءات أمنية : لا تجعل أحدًا يعرف أن هناك سلطة أعلى منك . لا تكشف اسمك الحقيقى . والأشخاص الوحيدون الذين سيكونون على معرفة ببعضهم هم أنا وأنت و (برنزر) و (مس فيكرز) .

٤ ـ اختيار العاملين : من الرجال والنساء الذين لهم ملفات محفوظة لدينا وهم حوالى خمسين شخصًا لديهم ماض يجعلهم على استعداد للتعاون معنا ..

استرخى (رايكس) فى مقعده ونفث سحابة من الدخان ، لقد بدأ يشعر بالملل من كثرة التعليمات الغامضة هذه ..

آه ..!.. الورقة الأخيرة تحمل عنوان (العملية المبدئية) :

١ ـ نجاح هذه العملية حيوى بالنسبة للعملية الأساسية . هناك شرط وحيد مطلوب أن تتم العملية خلال أسبوعين .

٢ ـ هناك منطقة معلم عليها فى الخريطة يوجد بها مخزن مؤن خاص بالجيش ، ويحوى المخزن (رقم ٥) ستة صناديق مطلية باللون الأخضر عليها رقم ٩٣/ز ، مطلوب سرقة صندوق واحد وحفظه فى مكان آمن .

٣ ـ تتم هذه العملية بأقل عنف ممكن .

طوى (رايكس) الأوراق بعناية ووضعها فى جيب سترته .. تأمل الخريطة فرأى أن المخازن موجودة فى مقاطعة (كنت) قرب (ورثام) .. وهنا دخلت (بيللا فيكرز) حاملة حقيبة ثياب كبيرة ، نهض يساعدها فى حملها إلى حجرة النوم .. ثم سألها :

ـ بالطبع حذرك (سارلنج) من أننى سأحاول استخلاص المعلومات منك ؟

ـ أظن ذلك .

ـ وهل ستخبرينه بما سألتك عنه ؟ .

ـ نعم ..

ـ أنت راغبة فى الخلاص منه .. أليس كذلك ؟

ـ بلى ..



وهنا دخلت (بيللافيكرز) حاملة حقيبة ثياب كبيرة ، نهض يساعدها فى حملها إلى حجرة النوم ..

- إذن لماذا لا نحاول الحصول على حريتنا معا ؟
- قال لى أنك ستقترح علىّ هذا ..
- إذن فكرى فى الأمر .. والآن .. هل لديك فكرةً عما وصلنى من تعليمات ؟
- لا ..
قالتها باقتضاب .. كانت بعد ترتاب فيه .. وآلمتها حقيقةً أنها لا تمثل له شيئًا خاصًا .. كل ما يعنيه هو نفسه فقط .. قال لها مفكرًا :
- أريدك أن تبحثى فى الملفات الخمسين عن رجل فى العقد الخامس من العمر .. إنجليزى .. له نشأة عسكريةً ويعرف كيف يتصرف مع هؤلاء .. يفهم فى السيارات ويجيد العراك ..
- هل تريده اليوم ؟
- لا .. يمكننا أن نبدأ غدًا .. أما اليوم فيومنا ويمكننا أن نذهب لتناول العشاء بالخارج .. إذا كان هناك فيلم تريدين أن تريه فيمكننا أن نذهب للسينما معًا ..
وهكذا ....
ذهبا لرؤية فيلم (صوت الموسيقا) معًا ... ولاحظ أنها غرقت تمامًا فى أحداث الفيلم .. معنى هذا أنها رومانسيةً تمامًا رغم ذلك الشىء الذى ارتكبته فى الماضى

وأوقعها فى قبضة (سارلنج) .. الشىء الذى بالتأكيد أظهر شجاعتها وكفاءتها حتى أنه حظى باحترام (سارلنج) ذلك الوغد العريق الذى لا ينبهر بشىء ..

لكن (سارلنج) أخطأ حين جعلها مع (رايكس) .. ففتاة رومانسية بهذا الشكل لن تصمد كثيرًا ..

وفى طريق العودة ـ بعد العشاء ـ خطر له أنها لم تزل تغنى وتحلق فى عالم (جولى أندروز) الرائع .. لكنه كان مخطئًا ..

كانت هى تفكر فى سر تبدل مسلكه .. بالتأكيد كى تتعاون معه ضدّ (سارلنج) .. لكن (سارلنج) ليس لقمة سائغة .. إنه يملك المال والنفوذ والذكاء الشخصى وعشرات الرجال الذين يستغلهم متى أراد .. لا يمكن لـ (رايكس) أن يفوز إذن ، وهى ـ لأسباب قوية ـ لا تريد أن تكون مع الجانب الخاسر ..

لكن لم يحن الوقت لاتخاذ القرار بعد ..

★ ★ ★

فى العاشرة صباحًا جاءته بسيارة (ستيشن واجون) استأجرتها بناء على طلبه .. لم يسعه سوى أن يقدر نشاطها وكفاءتها .. ، وقبل أن يغادر الشقة ناولها عشرين جنيهًا كى تشترى خاتم زواج تضعه فى

بنصرها حتى لا يثور حولهما القيل والقال .. كذلك طلب منها أن ترسل خطابين كل أسبوع على عنوانهما الحالى مع تغيير الخط وجهة الإرسال ، وطلب منها أن تثرثر مع البواب بخصوص زوجها من حين لآخر ..

ـ وهل أكتب لك شيئاً داخل الخطابات ؟

ـ الورق الأبيض كاف جداً ..

وتركها وقاد السيارة إلى مقاطعة (كنت) ليتفحص مخازن الجيش . كان المخزن المقصود على بعد ميلين فى الناحية اليمنى من الطريق وقد تم قطع الأشجار والنباتات حوله .. لم يكن ثمة دليل على وجود حارس بالمكان ولا أى شخص آخر ..

تلفت حوله بحذر ثم أبطأ سرعة السيارة حتى سقطت عجلاتها فى حفرة على جانب الطريق .. وواصل دفع العجلات ـ مع التحكم فى الفرامل ـ ليزيد انغراس العجلات ..

ثم ترجل .. وركع على الأرض ليتناول بعض التراب من الحفرة وغبّر به وجهه وسرواله ، ثم سار قاصداً بوابة المستودع ..

لم يكن به أى توتر ـ كعادته ـ ولم يشعر سوى بالثقة الباردة التى كانت تكسب كل خدعه مصداقية تامة ..

والآن .. ها هو ذا موظف مدنى جالس أخبره (رايكس) بحاجته للعون لأن سيارته غرست فى التربة .. أشار له الموظف إلى جهاز هاتف .. فهرع (رايكس) إلى هناك يطلب جراج إصلاحات ولم ينس - طبعًا - أن يحفظ رقم الهاتف فى ذاكرته ..

كما لم ينس أن يحفظ موضع الكوخ رقم (٥) كما رآه فى خارطة معلقة على الحائط .. الثالث إلى يسار الطريق الرئيسى الممتد من مدخل المعسكر ...

ثم سأل الموظف وهو يرفع كفيه المغبرتين :

- هل لى أن أغسل يدى ؟

ولم يكن بحاجة لمعرفة مكان الحمام .. لقد رآه فى خارطة الموقع ما بين الكوخين السادس والثامن لكنه أصغى لشرح الموظف شاكرًا ..

وفى الحمام اختلس النظر إلى الكوخ الخامس .. نافذتين على جانبى الباب دون قضبان حديدية والقفل بسيط للغاية .

عاد إلى الموظف وشكره ووقف ينتظر سيارة الصيانة ..

* * *

صباح اليوم التالى :

كل خميس عندما يقوم (جورج جيلين) بحرق الإطارات القديمة ويتصاعد اللهب الأصفر الكبريتى

والدخان الأسود ، لابد وأن يدق جرس الهاتف ويكون المتكلم من سكان المنازل المجاورة .. ولابد أن يشكو .. هم دائمًا يشكون ...

ليكن لهم ما يريدون فهناك دومًا ما يجب حرقه فى الجراج .. حقًا إن النار هذه شيء مدهش ..

- ماذا هناك يا ملاكى ؟.. هل لوّث السناج غسيل إحدى جارتنا ؟

سأل زوجته إذ رآها قادمة .. فقالت :

- ثمة شخص واقف بالخارج يبدو مهتمًا بالسيارة (الستيشن) الزرقاء ..

- ليكن .. سأذهب لأرى ما يريد ..

وغسل يديه ووجهه الذى غمره العرق .. إن العمل مزدهر والأوراق الخضراء لا تفارق حافظته ، وها هوذا أمل جديد فى زيادة تلك الأوراق الخضراء ..

كان الزبون المرتقب يبدو راقيًا من طبقة موسرة ، وحتمًا لن يقتله بالمساومة ثم ينتهى الأمر بعدم الشراء ..

- مستر (جيلين) ؟ .

- أنا هو ..

- اسمى (سميث) .. أريد أن نجرب هذه السيارة فى جولة قصيرة ..

- ولم لا ..؟

ركبا السيارة يقودها (سميث) .. (جيلين) يثرثر طيلة الوقت - بحكم العادة - لأن هذا يجعل الزبون أقل انتباهًا لعيوب السيارة .. لم يكن ثمة داعٍ لهذا لأن السيارة كانت جيدة فعلاً ..

- هل لك فى قدح جعة فى هذا المقهى ؟

- لا أرى ما يمنع ..

إذن هو رجل طيب .. طيب وذو حسّ شعبى متواضع .. جلسا يرشفان الجعة على مقعد فى المقهى .. بعد برهة تساءل (جيلين) :

- ما رأيك فى السيارة ؟

- لا بأس بها لكنى لا أريد شراءها !!

- ما هذا السخيف ؟.. إذن فالأمر كذلك .. مجرد تضييع وقت ..

- كل ما أردته هو إبعادك عن الجراج لنجد فرصة الكلام فى هدوء ..

- عن ماذا ؟

- عنك !

توتّر (جيلين) .. غدا حذرًا .. لا يوجد دليل ضده وسجله اليوم نظيف .. فماذا يريد هذا المتحذلق ؟ ..

أخرج الرجل علبة سجائر فضية وأشعل لفافة ببطء :

- لقد كنت تعيش فى (ولفرهامبتون) يا مستر (جيلين) .. أليس كذلك ؟

- بلى ..

- تذكر كذلك شركة فى (برمنجهام) اسمها (فاردون) ؟..

تحولت الجعة إلى حمض فى معدة (جيلين) وتوتّر أكثر..

- لقد كنت مهندسًا بارعًا فى كل شىء يا مستر (جيلين) حتى فى صناعة المتفجرات .. ولقد احترقت ثلاث شركات عملت أنت فيها .. كلها فى عام واحد .. والسبب : أجهزة تفجير من صنع يديك ..

وقف (جيلين) متلصلبًا .. لقد بدأ الفزع يداهمه :

- اسمع يا صاحبى .. أنت تبحث عن المتاعب .. كل ما سأقوم به الآن هو أن آخذ سيارتى وأنصرف ، وبعد هذا أنت المسئول عما سيحدث لو رأيت وجهك ثانية !

- إجلس ولا تلفت الأنظار .. إن الشرطة لديها جهاز من صنعك .. الجهاز الذى لم ينفجر .. وكنت أنت واثقًا إلى الحدّ الذى جعلك تترك بصماتك عليه لأنك متأكد من أنه سيعمل كما يجب .. والشرطة الآن تملك بصمات

لا تعرف من صاحبها .. كل مايلزمهم مكالمة هاتفية من مجهول .. وعندئذ تنتهى هذه المأساة ..

جلس (جيلين) يرمق (رايكس) فى غلّ .. كان رجلاً عمليًا للغاية .. ويعرف متى تكون الأمور بلا رجعة .. ويعرف حين يرى اللبن المسكوب ألا جدوى من البكاء عليه :

ـ حسن .. أنت تلعب لعبة قذرة .. كم تبغى ؟

ابتسم مستر (سميث) :

ـ لا أبغى مالاً .. أبغى وقتًا .. يومين فحسب بعدهما تنصرف لحال سبيلك وتحصل على خمسمائة جنيه !

ـ أنت تدفع لى ؟

ـ حتمًا ..

ـ أفضل أن أدفع أنا لك .. فأنا لن أقوم بعمليات قذرة أخرى .

ـ ستقوم بما أريده منك يا مستر (جيلين) .

لا وسيلة للخلاص .. لقد أحيط به .. هو لا يريد نهايات حقيرة وأمامه سنوات عدة من الحيوية والنشاط لن يتخلى عنها ..

ـ حسن .. لقد نلت منى .. ما هى العملية ؟

وبدأ (رايكس) يشرح له ......

★ ★ ★

سيكون عليك يا مستر (جيلين) أن تحضر سيارة (لاندروفر) كالمستعملة فى الجيش وتطليها باللون الزيتى ثم تكتب عليها كل هذه الأرقام والعلامات الخاصة بسلاح المدفعية ..

كان (جيلين) يعرف أن هذا الكابوس لن ينتهى أبدًا .. عملية تتبعها أخرى .. سيظل هذا الوغد متحكمًا فى باقى حياته ..

ربما هو قادر على إرغامه على هذه العملية .. لكن (جيلين) سيقضى عليه بمجرد أن يتحدث عن علمية أخرى .

★ ★ ★

سأل (رايكس) (بيللا) وهما جالسان فى الشقة :

ـ ألم تفكرى قط فى ترك (سارلنج) ؟.. الاختفاء فحسب ؟

قالت وهى تتنهد :

ـ لقد فكرت .. لكننى لن أنجح .. يومًا ما سيموت كالآخرين ..

ـ الأغنياء يعيشون أكثر من الآخرين .. فلديهم المال الذى يسمح لهم بشراء الأطباء والأدوية والخدم الذين يقدمون لهم العلاج .. بالنسبة للبعض يحسن الإسراع بموتهم ..



كان (جيلين) يعرف أن هذا الكابوس لن ينتهي أبدًا .. عملية
تتبعها أخرى ..

ـ أنت لست جادًا ؟

نظر إليها فى حنق .. كانت تثير أعصابه ولم يكن مبالغًا حين أدرك أنه يمقتها .. لكنه الآن فى حاجة ماسة إليها ..

ـ أنا أريد موته .. لكننى أريد أن أرى الملفات محترقة مع صورها .. ودون ذلك لن يكون قتله ذا نفع لى .. هل تحبين هذا القفص اللعين الذى أنت فيه ؟

ـ ليس قفصًا سيئًا جدًا خاصة وهو لم يعد يدخل إليه ليضايقنى .

ـ إذن لن تتعاونى معى ؟

نظرت إليه فى خوف .. كله قوة وحيوية وتصميم على القتل .. يتكلم عنه كشىء عادى .. لا يمنعه سوى حاجته للملفات عندئذ سيزيل (سارلنج) من الوجود كذبابة ...

هى تريد حريتها لكنها ـ حتمًا ـ لا تريد دفع هذا الثمن .

رباه !.. لماذا سرقت أول علبة بودرة من محل (ماركس أند سبنسر) التى قادتها إلى كل هذا ؟

مدّ أنامله ليرفع ذقنها مداعبًا .. هى تعرف أنه يفعل هذا كى يؤثر عليها لكنها ترغب فى هذا .. تحتاج إلى أن يهتم بها أى شخص تشعر معه بالأمان ..

همست فى وهن وهى ترى ابتسامته الدافئة :

ـ ماذا علىّ أن أفعل ؟ .

ـ ليس الكثير .. لا تظنى أننى سأطلب منك وضع السم فى شرابه أو ضربه بالسكين فأنت لن تقدرى على ذلك .

كان يريد عونها .. وبعد قتل (سارلنج) يأتى دورها هى .. فهناك فى (ديفون) ينتظر بيت أهله و(مارى) .. منزل الأحلام وزوجة الغد .. كيف يترك (سارلنج) يحرمه من كل هذا ؟..



ـ ٤ ـ

فى الصباح التالى توجه إلى (برايتون) ليزور المدعو (أوبرى كاتويل) ـ فهو لم يتعود بعد على أنه ليس (برنزر) ـ محاولا تذكر أول لقاء حدث بينهما ..... منذ خمسة عشر عامًا ...

كان (برنزر) هو من تعرف عليه .. لقد كان (برنزر) ذكيًا فى حكمه على الرجال ، ويجيد تقويم خصائصهم كأنه جهاز (كمبيوتر) ..

وعاشا معًا كل هذه الأعوام دون أن يعرف أحدهما اسم الآخر الحقيقى ولا عنوانه ..

واليوم .. للمرة الأولى هو ذاهب إلى (أوبرى) ليخبره بأن الامور لا تسير كما أرادا ...

★ ★ ★

لم يتغير (برنزر) كثيرًا ..

ذات الرأس الأصلع والوجه الهادئ عديم التعبير والعينين الرماديتين وتلك المسحة العامة من اللطف المهذب المشوب بحزن ..

فقط كانت ثيابه أكثر أناقة وأرقى ذوقًا ..

بدأ (رايكس) يخبره بقصة (سارلنج) .. النقطة الحمراء فى كتالوج معدات الصيد .. سرقة مخازن الجيش .. كل شىء ..

ظل (برنزر) صامتًا طيلة الوقت يصغى ، كما كان دأبه مع كل عملية جديدة .. يصغى دون أسئلة حتى فرغ (رايكس) ..

ثم سأله :

ـ ما هو رأيك فى (سارلنج) نفسه ؟

ـ أظن أنه مخبول .. لم يكشف لنا بعد عن خطته الكبرى لكنى أراهن أنها ستكون شيئًا خياليًا لا يمكن تنفيذه .. لابد من تدميره ولكن بعد الحصول على الملفات ..

ـ سنحتاج إلى معلومات عن (سارلنج) هذا ..

وبدأ يوضح لـ (رايكس) كل الأشياء التى يريد الإلمام بها .. رسم المنزل الذى زاره (رايكس) .. أسماء العاملين به .. أجهزة الإنذار ومكان الخزانة ..

أريد كذلك ـ قال (برنزر) ـ قائمة بثياب (سارلنج) .. عاداته في الأكل .. الأمراض التى لديه .. طبيب أسنانه .. أسماء مرءوسيه فى العمل ـ وسائل تسليته .. هل يشكو من الأرق ؟.. سفرياته إلى الخارج .. كل شىء ..

إن (سارلنج) علامة استفهام كبيرة .. وعندما تريد قتل رجل فلابد من أن تعرفه جيدًا .. تعرفه إلى درجة الغرام ..و(سارلنج) يجب أن يموت .. هذا هو الحل الوحيد ..

قال (رايكس) فى إحباط :

ـ آسف جدًا .. كنت أنا السبب فى كل هذا ..

ـ لا عليك .. كان من الممكن أن أكون أنا .. إن المرء يؤتى من هواياته .. ولو أن أحدًا رأى لوحة من التى كانت معلقة فى ذاك المكتب لأدرك أنها أصلية .. ولكان قادرًا على الوصول لنا ..

وانصرف (رايكس) بعدما طلب منه (برنزر) أن يعطى الفتاة كاميرا تلتقط بها صورًا ـ كلما تسنت لها الفرصة ـ لدار هذا المدعو (سارلنج) ...

★ ★ ★

حين عاد (رايكس) إلى الشقة .. كانت (بيللا فيكرز) فى الخارج ، لكن (سارلنج) كان هناك !.. جالسًا فى مقعد قرب النافذة .. والضوء الداخل منها يضىء جانب وجهه المشوه فيجعله فى لون اللحم المسلوق ..

تساءل (رايكس) بعد أن حيّاه بهزة من رأسه .

ـ هل معك مفتاح الشقة ؟

ـ طبعًا ..

ـ وهل من الطبيعى أن تأتى هنا ؟ .

ـ لم لا ..؟.. عشرات الأشخاص يدخلون ويخرجون من هذا المبنى كل يوم .. هل كنت عند (برنزر) ؟

ـ نعم ..
ـ وناقشتما طريقة القضاء علىّ ؟
ـ طبعًا !
ـ عندما تقرران شيئًا أرجو أن تخبرانى بـه .. والآن ماذا رتبت بشأن مخزن الجيش ؟
ـ سنقوم بالتنفيذ ولسوف تعرف الموعد من مس (فيكرز) ..
ـ ومتى ستنفذ العملية النهائية ؟
جذب (سارلنج) شعيرةً من شاربه وغمغم :
ـ لا أستطيع فى الوقت الحـالى أن أطلعك على أيـة تفاصيل .
ونهض متكئًا على عصاه ذات الرأس الفضـى قاصدًا الباب فسأله (رايكس) :
ـ كيف عرفت بأمر ذلك الصندوق ؟
ـ أوه !.. أنت تعرف كيف يثرثر الرجال ذوو المواقع الهامة بعد عشاء فاخر وشراب جيد .. كل الرجـال فى السلطة يتماثلون فـى أن لسانهم ينزلق .. إنهم ليسـوا مثلنا يا (رايكس) .. وإلا لما حققنا أى نجاح .. إن صمتنـا هو سر قوتنا يا (رايكس) ..
ثم توقف ونظر لـ (رايكس) وابتسم فازداد قبحـًا .. وأردف :

ـ استمر فى مقتك لى فهكذا أحبك أن تكون .. مثل أسد شرس يخضع لسوط المدرب بانتظار لحظة سهو كى يمزق عنقه !

ثم ضحك وأضاف :

ـ أعرف أنك ستفتح الصندوق لترى ما به .. أنصحك إذن أن تكون حذرًا حين تفعل ذلك .

ثم هزّ رأسه وخرج ..

أسد شرس !.. ومدرب !.. هذا هو تقدير (سارلنج) للموقف !.. تبًا له !.. تبًا لطبيعة تهوى تعذيب الناس إلى هذا الحدّ المروّع .. ماذا يريد هذا الرجل مع كل ما يملك من نفوذ وثروة ؟..

يجب القضاء على (سارلنج) .. يجب الفوز بولاء (بيللا) المطلق .. لأنها هى المفتاح الوحيد إلى أسرار هذا الرجل المريع .... ها هى ذى قادمة ....

★ ★ ★

السبت .. الساعة الرابعة .. وقد رحل (رايكس) بالسيارة (الستيشن) منذ ساعتين ...

تجلس (بيللا) أمام الهاتف تصغى لصوت الأمطار متوجسة .. على حين يجلس وراءها ذلك الذى عرفته أخيرًا :

(برنزر) .. لا يبدو عليه أى توتـر وقلق مثلـه مثل (رايكس) تمامًا .. رجل مهذب هادئ لا يبالى علـى ما يبدو بكل هذا ...

- هيا .. اطلبى المكالمة .

قالهـا (برنـزر) فأطفـأت سيجارتها ورفعت سماعة الهاتف متوترة ..

وبعد ثوان سمعت صوت رجل يقول فى سأم :

- نعم ؟ .

- هل هذا هو مستودع (ميرورث) ؟

- انتظر لحظـة .. هذه وزارة الدفـاع .. هوايتهول .. كولونيل (شرمبتون) يريد الحديث مع ...

لقد زال عنها التوتـر الآن وبدأت الجديـة تظهر فى صوتها :

- هنا مكتب مدير عام المعدات .. سأوصلك به ..

وحكت ظهر إبهامها فـى السماعة مرتين ثم نـاولت الهاتف لـ (برنزر) قائلة فى تهذيب :

- المكالمة التى طلبتها يا سيدى .

أمسك هذا بالسمعة ليقول بلهجة عسكرية آمرة :

- مستودع (ميرورث) ؟.. هل وصل الكابتن (كيلى) ؟

- لا يا سيدى .. لم يحضر أحد بهذا الاسم ..

- عندما يصل أبلغه بأن عليه الاتصال بى فورًا - أنا كولونيل (شرمبتون) - فى وايتهول ١٧٠٢٢ .. هو يعرف الرقم الداخلى .. هل فهمت؟

ثم أنهى المكالمة ونظر للفتاة مبتسمًا وشدّ حلمة أذنه فى شرود:

- إن هذا سيوقف تفكيرهم تمامًا .. من هو مدير المعدات الحربية حقًا؟

ثم ارتدى قفازاته وقبعته ونهض لينصرف ..

وقبل أن يخرج استدار قائلا:

- كل شىء سيكون على مايرام .. لا تقلقى ..

بعد انصرافه جلست (بيللا) تفكر .. أولئك الرجال الملاعين .. كلهم فى منتهى الهدوء والثقة ولن يغيرهم أى شىء تقوله أو تفعله أو تقترحه ..

وهذان الاثنان بالذات ..

سيقومان بقتل (سارلنج) بكفاءة وهدوء ودون انفعال كما يتصرفان فى هذه العملية بالضبط ....

★ ★ ★

تم كل شىء فى حقل منعزل فى (كنت) ..

حيث لحق (رايكس) بـ (جيلين) الذى كان يقف - بثياب الجنود - جوار السيارة (اللاندروفر) التى غير معالمها لتبدو كسيارة من سلاح المدفعية ..

وارتدى (رايكس) ثياب ضابط وانطلقا إلى مستودع (ميرورث) .. ولم تحدث مشاكل .. لأن المشاكل لا تحدث أبدًا لمن يثقون بأنفسهم ..

كابتن (كيلى) ؟.. نعم .. هناك رسالة لك من (وايتهول) تفيد بأن تتصل بكولونيل (شرامبتون) .. الضيق على الوجه .. تلك الأوامر التى لا تنتهى .. اليوم السبت والمفترض أنه إجازة .. حسن .. قيادة السيارة إلى الكوخ رقم (٥) .. فتح الباب .. ضربة على مؤخرة رأس الموظف .. ثم تقييد يديه وقدميه .. واستبدال الصندوق المطلوب بالذى كانا يحملانه ..

ثم مغادرة المعسكر دون كلمة واحدة إلى أن وصلا إلى السيارة (الستيشن) ونقلا الصندوق داخلها ..

ولا داعى للقول أنهما كانا يرتديان القفازات طيلة الوقت ..

قال (جيلين) :

ـ لقد نجحت كما لو كنت ساحرًا ..!

ومدّ يده اليمنى داخل سترته .. عندئذ عرف (رايكس) ما سيحدث . اللحظة التى كان (جيلين) ينتظرها ..

وعلى الفور اعتصر يد (جيلين) حتى أسقط المسدس منها ..

- أيها اللعين !

ورمى الرجل بكل ثقله فوق (رايكس) فأوقعه أرضًا .. وهان !.. ركلة بالحذاء العسكرى فى صدغه ..

تمالك (رايكس) نفسه - والحنق يغزو دمه - فضرب عنق الرجل بسيف يده ثم ركله فى بطنه ، فتدحرج فوق العشب يئن ..

التقط (رايكس) المسدس وصوبه نحو الرجل .. الدماء تسيل على وجهه ودمه يغلى لكنه تمالك أعصابه ..

- لا تحاول ذلك مرة أخرى وإلا قتلتك !

فنهض (جيلين) يسعل حتى ليكاد يقىء معدته نفسها ..

معًا حملا الصندوق إلى العربة ، ثم تفقدا العربة (اللاندروفر) قبل تركها ليتأكدا أنهما لم ينسيا ما يدل عليهما ..

ثم أن (رايكس) قاد السيارة متجهًا إلى جنوب (لندن) .. توقف جوار بركة ماء وفتح النافذة .. ثم أخرج المسدس من جيبه :

- هل يستطيع أحد تعقب هذا للوصول إليك ؟

- أتظننى معتوهًا ؟

- بدأت أشك فيك بعد ما فعلته الآن ..

ثم طوّح المسدس إلى بركة الماء ..



تمالك (رايكس) نفسه ــ والحنق يغزو دمه ــ فضرب عنق الرجل
بسيف يده ثم ركله فى بطنه ..

وانتزعا ثيابهما العسكرية وبدلاها بثياب مدنية ، ودفنا الأولى فى حفرة صغيرة ..

قال (رايكس) وهما عائدان للسيارة (الستيشن) :

- إن قتلك لى لم يكن ليفيدك بشىء .. لا يوجد مبتز يعمل وحده كما تعلم ..

- كل ما أعرفه هو أننى كنت سأستمتع بقتلك إلى أقصى حد ..

مسح (رايكس) وجهه بالمنديل :

- لقد انتهت القصة ولن يزعجك أحد بعد الآن ..

وأشار إلى تابلوه السيارة :

- نقودك فى الدرج أمامك ..

- كم ؟

- خمسمائة زائد ثمن (اللاندروفر) والمصاريف الأخرى ..

- لا بأس .. لقد حصلت على (اللاندروفر) من مزاد سيارات فى (ليسستر) ولن يستطيع أحد الوصول إلىّ عن طريقها ..

- هذا لا يقلقنى .. فأنت تحمى نفسك أولاً ..

وحمل (جيلين) مظروفه ونزل من السيارة .. ووقف تحت رذاذ المطر وضوء مصابيح الشارع يرمق (رايكس) ثم قال وهو يرفع يده فى تردد :

ـ آسف على ما بدر منى .. أنت حقًا رجل طيب !

واستدار .. ليختفى بين أمواج الذكريات ...

★ ★ ★

فى حذر رفع (رايكس) غطاء الصندوق ..

كان مغطى من الداخل بنشارة خشب .. مدّ يده يعبث داخلها فخرج بقنبلة بلاستيكية صغيرة الحجم بحيث يمكن إخفاؤها فى راحة اليدّ .. كان هناك الكثير منها ..

وضع واحدة فى جيبه وأغلق الصندوق .. ثم استقل (تاكسى) عائدًا إلى الشقة ....

سيكونُ هذا الجراج مأمونًا لإخفاء الصندوق إلى حين ..

★ ★ ★

بعد قليل ستتجه (بيلا) إلى الجراج لتزيل كل البصمات من على السيارة ، ثم تقودها لتعيدها إلى الوكالة التى استأجرتها منها .. وهكذا يذوب كل دور لهما فى هذا الجزء .. إن الاسم الذى تركته لهم فى الوكالة مزيف طبعًا .. وسيكون مستحيلاً أن يعثر أحد على مستأجرى السيارة لو أن أحدًا وجدها .. كانت قد تركت له عشاء من اللحم والقنبيط .. فشرع يلتهمه وهو راض عن نفسه أتم الرضا ...

★ ★ ★

ـ ٥ ـ

وعاد (رايكس) إلى (ديفون) ليستجم قليلاً ...

كان قد عرف من (بيللا) أن (سارلنج) فى رحلة بـ (مالطا) وحين يعود لن يحتاج لرؤية (رايكس) أسبوعًا أو اثنين ..

وفى داره هناك أثار دهشته أن وجه (بيللا) لم يفارق مخيلته .. نظرة الضعف التى تدعوه لحمايتها .. يا إلهى !.. لماذا يفكر فيها الآن ؟..

★ ★ ★

بعد الظهر قصد بيت (مارى) ..

لكنه ـ قبل أن يزورها ـ قام بتجربة صغيرة ..

اتجه بالسيارة إلى واد قديم عميق .. فترجل هناك وسار بين الزهور البرية التى يغلفها الضباب ، حتى وصل إلى هضبة صغيرة تطل على ممر ضيق ترعى فيه الأغنام ...

الريح تهب من ظهره لكنه بلل إصبعه ورفعه إلى أعلى ليتأكد من اتجاه الريح .. ثم وقف يرمق الأغنام وهى تسير هنا وهناك بين الأعشاب .. عند قدميه ...

أخرج القنبلة البلاستيكية التى سرقها من الصندوق وانتزع مسمار الأمان منها ثم رماها من أعلى بين الحشائش ..

تراجع بظهره ببطء وهو يعدّ .. ثمانية .. تسعة .. عشرة .. ثم وثبت القنبلة فى الهواء وتناثرت شظاياها ..

طفق ينتظر .. ينتظر ..

وفجأة رفعت إحدى الماعز رأسها ثم هوت على الأرض .. وتبعتها باقى الأغنام ..

ومرّ طائر فوق الأغنام الممدة على ارتفاع أربعة أقدام فهوى كقطعة حجر ..

كان هذا هو ما يريد (رايكس) معرفته ..

لهذا ركب سيارته قاصدًا دار (مارى) ..

★ ★ ★

صباح اليوم التالى عاد إلى مكان الأغنام ...

كان ضوء الشمس يسطع عبر المنحدر الصخرى .. ولم يكن هناك سوى جثة واحدة من الأغنام .. أما الباقيات فكانت تمرح هنا وهناك ترعى العشب ...

ما سر هذا ؟.. لماذا ماتت واحدة فقط من الغنم ؟

★ ★ ★

بعد يومين قابل (برنزر) فى مقهى (راك) بـ (لندن) وأخبره بنتائج تجربته .. وتساءل عما يزمع (سارلنج) عمله بهذه القنابل ..

ـ أظن أنها قنابل خاصة بفضّ الشغب ..

- لا أظن هذا .. لو أنهم استعملوها مع الناس فلن ينهض بعضهم أبدًا كما حدث لهذا الخروف ..

- لربما كان نوعًا من غاز الأعصاب .. معظم هذه الغازات تكون قاتلة إذا ما استعملت فى مكان مغلق ..

حك (رايكس) رأسه وغمغم :

- علينا أن نتصرف سريعًا بشأن (سارلنج) قبل أن يورطنا فى خطته الشريرة التى يريد فيها استعمال هذا الغاز ..

ثم جرع ما بقدحه .. وأردف :

- هذه الليلة سأصارح (بيللا) وأتصل بك غدًا ..

وهكذا ...

اصطحب (بيللا) إلى العشاء فى الخارج. .. وحدثها عن القنبلة البلاستيكية . فضل أن يحدثها وسط الزحام حتى تتحكم فى انفعالاتها لو أردات أن تعترض ....

قال :

- سيورطنا جميعًا فى استعمال هذا الغاز .. اللّه وحده يعلم أية خطة مجنونة ينتويها (سارلنج) قد تودى بحياة المئات .. هل سنقف مكتوفين ؟.. لا حل سوى قتل (سارلنج) .. وأنت الوحيدة القادرة على معاونتنا يا (بيللا) ..

- ومن أدراك أنه سيجعلك تستعمل القنابل ؟

- لأنه لا يملك الوقت الذى يجعله من هواة البلاستيك يا صغيرتى .. عليك الاختيار ما بين (سارلنج) وعشرات الأبرياء .. غير أن قتل (سارلنج) سينقذ الأبرياء ويحررنا فى ذات الوقت ..

- أفهم هذا ..

- لا نريد منك سوى بعض البيانات ..

نظرت إلى القدح أمامها على المنضدة .. وهمست :

- أنا خائفة !

كل ما عليها الآن هو أن تنهض واقفة وتتركه و(سارلنج) وكل شىء وراءها .. ترحل .. لكنها لا تملك القوة كى تفعل ذلك ...

أومأت بالإيجاب ..

مدّ يده عبر المنضدة وأمسك بيدها .

- لن تندمى أبدًا .. الآن دعينا نستمتع بأمسيتنا معًا وننسى كل شىء .. سنتحدث فى الموضوع فيما بعد ..



لمدة أسبوعين كاملين ظلت (بيللا) تلتقط الصور لـ (بارك ستريت) و (ميون بارك) كما طلب منها (رايكس) ..

وكانت تخفى آلتى تصوير معها فى المكانين ..

كذلك قامت بتدوين المعلومات وعمل رسوم بيانية للمنزلين .. بإتقان ودقة قامت بعملها آملة فى أن يرضى عنها (رايكس) ..

(رايكس) الذى ازدادت تعلقًا به يومًا بعد يوم ..

وفى كل ليلة تجلس جواره قبل النوم ليراجعا البيانات الخاصة بكل شىء ..

الحق يقال .. إن هذه كانت أسعد أيامها على الإطلاق ..

وفى تلك الأمسية قال لها :

- صفى لى مرة أخرى غرفة نوم (سارلنج) فى (بارك ستريت) .

لقد وصفتها له عدة مرات حتى غدا قادرًا على رؤيتها .. الحجرة بالطابق الأول .. باب المكتب إلى اليمين من الدرج .. غرفة نوم (سارلنج) لليسار .. ثم باب المكتب من خشب البلوط .. النوافذ يحرس كل منها جرس إنذار ..

مكتب (سارلنج) من خشب (المُجَنَة) .. ساعة الحائط الطويلة فى الركن الأيسر من الباب .. ثم الباب الذى يقود إلى غرفة الخزانة المصفحة ...

ثم ينوى (سارلنج) الدخول إلى الخزانة فيطلب إلى (بيللا) أن تنصرف ريثما يفتح الباب ...

المشكلة هنا أن (رايكس) لديه صورة الباب المصفح فى منزلى (لندن) والريف ..

لكن البابين كانا متماثلين تمامًا .. وبلا تضاريس على الإطلاق .. لا مقبض .. لا مفتاح .. لا قفل ..

مجرد مسطح ضخم من الصلب الأملس ، وعلى الناحية اليسرى أعلاه مربع أملس من النحاس ضلعه ستة بوصات ..

- كل ما أعرفه هو أنه يضع يده فينزلق مربع النحاس وينفتح الباب ..

- أية يد ؟

- اليمنى ..

- لا تفترضى .. أغلقى عينيك وتذكرى .. أية يد ؟

- اليمنى .. ثم يضغط بإبهامه الأيسر على مكان ما .

- وعندئذ ينفتح الباب .

لكنها حاولت - منذ أيام - أن تجرب دفع يدها فى ذلك المربع دون جدوى .. أحست به يتزحزح للخلف لكن شيئًا لم يحدث .. ما هو السرّ وراء هذا الباب العجيب ؟

- وماذا بعد أن يغادر الغرفة المصفحة ؟.. كيف يغلق الباب ؟

- كما قلت لك .. هناك زر كزر الجرس فى الحائط يضغط عليه فينغلق الباب .. وبالطبع لا داعى لسؤالى عن ما قد يحدث لو ضغطت الزر والباب مغلق طبعًا لم يحدث شىء ..

ثم نظرت إليه متوسلة :

- أنت لن تفتح هذا الباب .. فلم لا تتوسل له كى يتركك بعد أن تقوم بهذه العملية ؟

- إنه لن يتركنا وشأننا - صاح فى غضب - هذا الرجل يستمتع بالاستيلاء على أقدار الناس .. ولن نجد حرية ولا راحة فى حياتنا ما دام حيًا يُرزق ..!

وفى غضب ذهب لينام .. أما هى فظلت فى الظلام لساعة متأخرة من الليل ..

فى أذنها تدوى عبارته : هذا الرجل يستمتع بالاستيلاء على أقدار الناس .. أنت أيضًا تستمتع بالاستيلاء على أقدار الناس .. لقد سلبتنى إرادتى تمامًا وجعلتنى

طوع بنانك .. ولكن ـ حين يموت (سارلنج) ـ هل ستظل راغبًا فى الزواج منى ؟.. على كل حال مهما حدث .. سيظل جزء منك بحاجة إلىّ .. أنت مثل (سارلنج) .. لا تتخلى أبدًا عن شىء تملكه ...

★ ★ ★

جلس (سارلنج) فى مقعد قرب النافذة وساقاه متباعدتان وقد انحنى بجسده إلى الأمام ..

كان فى حال نفسية طيبة .. وقال وهو يبتسم :

ـ أنا الابن السابع لابن سابع .. لابد أن لهذا معنى ما ..

ـ فى (ديفون) يقولون أن لهذا الشخص القدرة على جذب الأسماك .. إلا أنه يفقدها إن شرع فى قتل سمكة ..

أشار (سارلنج) إلى وجهه الدميم وغمغم :

ـ كنت فى الواحدة والعشرين من عمرى ، وقد نجحت فى جمع خمسين ألفًا من الجنيهات فاحتفلت بذلك .. شربت كثيرًا ونمت ولفافة تبغ مشتعلة فى يدى .. سقطتُ على الفراش وصحوتُ وسط النيران .. لقد بذل الجراحون قصارى جهدهم حتى صنعوا منى المسخ الذى تراه ..

ثم ابتسم ونظر إلى (رايكس) :

- إن أى محلل نفسانى سيؤكد أن تصرفاتى كلها منذ ذلك الحين هى تعويض عن تشوه وجهى .. لكنهم حمقى .. دعنى أؤكد لك أن هذا كلام فارغ .. أنا بطبعى مقامر .. لابد أن أعيش وسط الأخطار .. بدأت أخرج على القانون مرارًا لأعيش فى دائرة التوتر .. كان هذا يجلب لى الراحة النفسية والمال .. وستكون أنت معى فى هذه اللعبة الخطرة .. فلو ربحناها يكن لك و (برنزر) نصف مليون جنيه على الأقل ..

- أنا لا أريد مالاً .. كل ما أريده هو الحصول على الملفات ثم قتلك والعودة إلى (ألفرتون مانور) ..

ضحك (سارلنج) وحكّ ذقنه :

- أنت تخدع نفسك يا عزيزى .. تظن أنك تريد الانتقام لأبيك .. استعادة منزل الأجداد .. إلخ .. لكن لا .. أنت مقامر مثلى تمامًا يا (رايكس) .. مقامر بطبعك .. ولن يمر عليك عامان حتى تعود إلى سابق عهدك .. أنت تعرف ذلك وتمقته .. وحين تلوح نيران الحقيقة أمام عينيك تحاول إطفاءها بكلمات مثل (ألفرتون مانور) ..

لهذا اخترتك أنت لأنك مقامر .. المخاطرة هى الشىء الوحيد الذى يجعل للحياة طعمًا لديك ..

هزّ (رايكس) رأسه فى سأم .. وغمغم :

ـ أنت بحاجة إلى علاج .. أما أنا فأعرف علاجى .. أن أراك جثة هامدة !

ازدادت ابتسامة (سارلنج) اتساعًا .. وقال :

ـ أنا شاكر لك كل هذه المتعة .. الإحساس بأننى لو ارتكبت خطأ واحدًا سأموت .. إن هذا يزيد استمتاعى بالحياة ..

وأومأ برأسه .. ثم انصرف ..

شرع (رايكس) يفكر فى الأمر مليًا .. هذا الرجل مخبول تمامًا .. لكن التخلص منه مستحيل قبل أن يجد حلاً للغرفتين المصفحتين إنه مُنهك .. مُنهك ..

★ ★ ★

وحين عادت (بيللا) أدركت أنه قضى ساعة رهيبة .. فجواره مطفأة سجائر طافحة بالأعقاب .. نظر إليها وقال :

ـ أخبرينى بشىء مفرح .. قولى لى أنه سقط من على السلم ودق عنقه ..

جلست جواره وربتت على رأسه بلطف :

ـ ماذا يضايقك بالضبط ؟

ـ نسيت !

جلست ممسكة بيده .. وقالت :

- هناك شىء هام عرفته .. إنه يمتلك منزل (لندن) منذ أربع سنوات فقط، وقام بعمل تعديلات كثيرة به منها تلك الغرفة المصفحة .. وقد قمت بمراجعة فواتير التعديلات التى أحتفظ بها فى مكتبى .. وهل تعرف ماذا وجدت ؟

قال مبتسمًا وهو يداعب ذقنها :

- وجدتِ فاتورة دفع نفقات إنشاء الغرفة المصفحة .

- نعم قامت بذلك شركة (فينسن أند لايل) فى (لندن) وهى منبثقة من شركاته الكبرى ..

وهكذا .... تبين خيط قيم فى هذه القصة ..

اتصل (رايكس) بالشركة المذكورة وتكلم مع مدير مبيعاتها .. شرح له أنه شريك فى شركة تصميمات معمارية شمال (أيرلندا) ..

وأنه يريد رؤية إنتاجهم من الأقفال والخزانات .

سال لعاب مدير المبيعات ودعاه لزيارة الشركة غدًا ..

وتوطدت علاقته مع الرجل، ودعاه إلى الغداء الفاخر مرارًا .. كما وعده بمكافأة مالية قيمة لو أنه قدم له سعرًا مناسبًا وخاصة أن مدير الشركة راغب فى ... خزانة مصفحة !

التقطت السمكة الطعم .. وقال مدير المبيعات :



اتصل (رايكس) بالشركة المذكورة وتكلم مع مدير مبيعاتها ..

- لدينا ما تريد حتمًا .. بالواقع رئيس مجلس إدارتنا يملك خزانتين من ذات النوع .. لكن تكلفتها باهظة بما لا يناسب السوق .

وشرع يثرثر عن كل ما يريده (رايكس) ..

إن (رايكس) يعرف الآن كل ما يحتاج لإرسال (سارلنج) إلى العالم الآخر ..

القفل يعمل ببصمة الإبهام .. يوضع الإبهام على المستطيل فتنطبع البصمة عليه ، ثم يتراجع للوراء حيث توجد عين إلكترونية تقارنها بالبصمة التى برمجت عليها .. وينفتح الباب عند حدوث تطابق .. كذا .. صار كل شىء روتينيًا ويمكنه قتل (سارلنج) ..

ثمة مشكلة بسيطة هى (بيللا) ...

(بيللا) التى تقف بالمطبخ تغنى فى سعادة وهى تقلب شرائح اللحم .. تقرأ كتاب الطهو وتفكر فى ذات الوقت ..

قطعى شرائح اللحم قطعًا متساوية .. الباب يفتح ببصمة الإبهام . كيف يحدث هذا ؟.. ارفعيها على النار مع البصل والمقدونس .. ثم أضيفى بعض الدقيق والحساء .. لقد بدأ يتغير .. لا شك فى هذا .. اتركيها حتى يتم النضج .. الخلّ .. (سارلنج) .. الباب المصفح .. هل الخلّ أبيض أم أحمر ؟.. لتجرب الأبيض ..

★ ★ ★

جوار النافذة جلس (برنزر) يتأمل الأوراق والصور .. منتصف النهار وشمس الشتاء الخافتة تلتمع فى حياء .. إنه الآن قادر على إغماض عينيه والسير داخل المنزل لأنه يعرف كل قطعة أثاث فيه ..

ستبدأ الخطة فى (ميون بارك) إذن ...

سيكون (سارلنج) هناك .. تكمم فمه وتخدره ثم تستعمل بصمة إبهامه لفتح الغرفة المصفحة .. ثم تحصل على الملفات .. ثم ينطلق (سارلنج) بسيارته التى تقودها (بيللا فيكرز) إلى (لندن) .. لكنه لن يكون هو طبعًا .. بل واحدًا يشابهه فى الطول والحجم والثياب هو (برنزر) طبعًا ..

إن التعقيد وصعوبة التنفيذ ليفعمان نفسك حبورًا ..

لا داعى للقلق .. فسواء كان (سارلنج) حيًا أو ميتًا فبصمته كافية لفتح الباب المصفح ..

★ ★ ★

فى اليوم التالى جاء (سارلنج) إلى الشقة ولم يكن بها سوى (رايكس) ..

جلس - كغراب أسود - يثرثر ربع ساعة كاملة دون أن يقاطعه (رايكس) .. وحين فرغ سأله هذا الأخير :

- من أين ستأتى البضاعة ؟

- ستعرف فيما بعد ..

- وهل أنا الذى سأحضرها ؟ .

- حتمًا ..
- وهل سأتظاهر بأننى قائد العلمية ؟
- نعم ..
- لكن (الآخر) سيفهم أننى لست كذلك لو عنده ذرة من الذكاء ..
- هذا طبيعى .. فهو أيضًا ليس قائد عملية الجانب الآخر .. إن الرؤساء فى هذه العمليات غير معروفين ولا يظهرون أبدًا ..
- وإذا أراد معرفة مصدر البضاعة ؟
- عندئذ تتركه وترحل فورًا ..

★ ★ ★

رفع (رايكس) سماعة الهاتف وخاطب الجانب الآخر :
- لقد عاد (تونى) وطلب موعدًا ..
تساءل الرجل بصوت هادئ :
- (تونى) من ؟
- (تونى) من (أبل جيت) ..
سمع (رايكس) صوت السماعة توضع فى حزم ، فأشعل لفافة تبغ وطفق يدخّن وهو يشعر أن كل هذا كابوس مريع .. بعد ثوان دق جرس الهاتف :
- (تونى) ؟
- نعم ..

- الساعة الرابعة .. فندق (الريتز) . غرفة ٩٧ ..

وقد كانَ .....

هوذا (رايكس) يجتاز بهو الفندق بين الرجال فى حللهم الرسمية والنسوة فى ثيابهن الحريرية .. إنه حفل عرس .. لكن الوقت لا يسمح له بالتوقف لأن عليه أن يعقد صفقة .. صفقة بخصوص سبيكة ذهب عليه أن يسرقها ...

وفى الغرفة ٩٧ وجد رجلاً جالسًا إلى مكتب عليه مزهرية بها صحبة من زهور (الأقحوان) .. وكان الجناح كله مفروشًا باللون الأخضر ..

أما الرجل فكان فى الثلاثين من عمره شديد النظافة والأناقة كأنما خُلق لتوه .. والصحة تطلّ من كل ملامحه وعيناه تبتسمان فى رقة .. كله ثقة بعلمه بالشعائر السرية التى أعطته موضعًا فى ذلك الكون الذى يسوده لون الذهب ..

- هل ترى أن ندخل فى الموضوع مباشرة ؟

- نعم ..

كان صوت (رايكس) يفضح توتره .. لكن الرجل كان ودودًا ..

- أريد سعرًا لتوريد سبائك ذهب زنة أربعمائة أوقية .. قد يصل بعضها إلى وزن كليو جرام .

ـ العدد ؟

ـ من خمسين إلى مائة للسبائك الكبرى ..

مدّ الرجل يده إلى جيبه وأخرج قطعة ذهب فى حجم قالب الشيكولاته الكبير .. وقال :

ـ سبيكة (تولا) .. يوجد منها ملايين فى بلاد الشرق .. هم لا يثقون بالعملات هناك .. الذهب هو الذهب لا يتغير .. هل بضاعتك من (لندن) ؟

ـ محتمل ..

ـ متى تسلمها لى ؟

ـ إبريل القادم ..

ـ التسليم فى (انجلترا) له سعر منخفض سنحدده لك .. لكننا نفضل التسليم فى (أمريكا) .. إن هذا سيرفع سعر التسليم لكنه أقل من فارق السعر .. وماذا عن العملات ؟

ـ دولارات . تودع فى الخارج .

ـ يمكنك أن تثق بنا تمامًا .. فى مهنتنا هذه إذا خدعت شخصًا ما فإنك تقضى على مستقبلك المهنى .. إن الأخبار تنتقل بسرعة .. لهذا يمكنك أن تثق فى أمانتنا ..

ثم نهض وصافح (رايكس) :

ـ أطلب رقم الهاتف هذا بعد أسبوعين .. سيكون لدينا ردّ جاهز لك ..

ناوله (رايكس) سبيكة (التولا) فهزّ رأسه :
- إحتفظ بها أعطها لفتاتك .. كمواطن بريطانى أنت غير مسموح لك بحمل الذهب لكنى لا أحسب هذا يقلقك .

للمرة الأولى فى حياته أحس (رايكس) أنه مهزوز .. كأنه موظف جديد ساذج تحت إمرة رئيس داهية .. إنه قد اعتاد أن يمخر فى عباب المياه التى يألفها طيلة حياته ..

ها هو ذا يتورط فى عالم مروع مجهول هو عالم تهريب الذهب .. فيالها من كارثة ...! ..

كان الآن يقف فى منتصف (بوند ستريت) وسط زحام الناس .. لكنه لم يبال بهم .. التقط السبيكة (التولا) ورماها فى فتحة المجرور ...!... وابتعد بخطوات واثقة .. ليذهب الجميع إلى الجحيم .....

★ ★ ★

لكنه ظل عاجزًا عن فهم خطة (سارلنج) ...
لربما كان هذا الرجل يقوم بتهريب الذهب إلى الخارج ..
على كل حال هو لا يهتم كثيرًا بمعرفة التفاصيل ..
كل ما يعرفه هو أنه سيقتل (سارلنج) .
وبعد ذلك يأتى دور الفتاة ..
وموتها يجب أن يبدو كحادث ....
كان يعرف ماينبغى عمله ..

★ ★ ★

- ٧ -

عطلة الكريسماس :

قضاها (رايكس) فى (ديفون) مع (مارى) يرتبان كل شىء للخطبة بمجرد شرائه لداره فى (ألفرتون ماتور) ..

زيارة الأصدقاء .. السير جوار النهر .. كل هذا جعل مشاكل (لندن) و (سارلنج) تبدو بعيدة واهية ...

ها هى ذى بلدته .. أهله .. زوجته المقبلة ..

لكن فتورًا ما تسرب إلى علاقته مع (مارى) لم يدر سببه .. ربما كانت (بيللا) هى السبب ؟.. تظاهر - رغم كل شىء - بأن شيئًا لم يتغير وكذا فعلت هى ..

★ ★ ★

فجر اليوم التالى لعودته إلى (لندن) :

دق جرس الهاتف فى الشقة فرفعت (بيللا) السماعة .. وردت .. ثم قرعت باب غرفة (رايكس) ..

كان واقفًا أمام المرآة يربط رباط عنقه .. قويًا وسيمًا يمكن الاعتماد عليه .. إنها تحبه حقًا .. تقدم نحوها وربّت على خدها فى رفق .. فقالت .

- هذا (سارلنج) يتحدث من (باريس) .. سيعود ظهرًا وعلىّ أن أقابله بالسيارة ثم آخذه إلى (ميون بارك) ليمضى نهاية الأسبوع ..

رأت النظرة فى عينيه .. النظرة التى ترهبها ..
وفى رتابة قال وهو يعقد رباط عنقه :
- خلال يومين سيموت هذا الخنزير ..
- باستطاعتى أن أبلغه بذلك !
- إخبريه إذن .. وسأبحث عن وسيلة أخرى للخلاص منه ..

لكنه كان مطمئنًا إلى أنه نال ولاءها الكامل ..
كانت ترتجف فقال لها :
- إن الساعة ما قبل الفجر تكون أبرد ساعات اليوم .. عليك ببعض القهوة الساخنة ..

تركته ودخلت المطبخ تعدّ القهوة .. ومن الصالة سمعت صوت صفير المرح المنتعش .. لقد أوشك على نيل حريته ...

هى لم تره من قبل فى هذا الحال من السعادة ...

★ ★ ★

حين وصل (سارلنج) - من (باريس) - إلى الشقة حيث جلس (رايكس) وحيدًا ، كان أول ما طلبه هو كوب من اللبن .. ثم سأل (رايكس) :
- ماذا تم بشأن الذهب ؟
- سأحصل على السعر وبيانات التسليم قريبًا ..

- حسن .. نصف الربح الذى سنحصل عليه لك أنت و(برنزر) ..

- وما هى العملية الكبرى التى تريدها ؟

- سنسرق بعض سبائك الذهب ..

- خمنتُ هذا ..

- ليس من بنك .. بل من البحر .. من على سفينة .. هل هذا يروق لك ؟

- لا ... وأية سفينة ؟

- من أحدث وأجمل سفن العالم ..

وفتح حقيبته .. وأخرج منها كتيبًا سميكًا له غلاف مصقول ، كتب عليه بحروف كبيرة (عابرة المحيطات كوين إليزابث) .. وفى الصفحات التالية رأيا صورًا للقبطان والمهندس الأول ومئات الأماكن بداخلها ..

- أنت مجنون !!

- أنا رجل عملى ..

صاح (رايكس) فى جنون :

- عم تتحدث ؟.. كابتن (بلود) أم سرقة قطار البريد السريع ؟.. أنت تقرأ مجلات أطفال أكثر من اللازم .

ثم استرد أنفاسه وأردف :

- أنت بحاجة إلى جيش .. إلى عدد من الرجال أكثر ممن تضمهم ملفاتك .. لم لا تطلب منى سرقة جواهر التاج ؟.. قد يكون هذا أسهل ..

هزّ (سارلنج) رأسه :

ـ هذا ليس مستحيلاً .. إن السفينة الآن فى (ساوث هامبتون) وكان بها عطل فى التوربينات مما اضطر شركة (كونراد) إلى إلغاء جدول رحلاتها .. لهذا لا يمكننا تحديد موعد البدء .. سنأخذ الذهب أثناء أول رحلة لها إلى نيويورك) ..

ـ (سارلنج) .. كن عاقلاً .. ربما كان أبوك يضربك فى طفولتك لكن هذا لا ينبغى أن ......

ـ .. سيكون الذهب فى خزينة السفينة .. يمكن التنفيذ برجلين فقط دون عنف ولا شوشرة .. فهى ستحمل ثلاثمائة مسافر مع الطاقم .. ولن يرى ما سيحدث سوى عدد محدود جدًا أكثره لن يرتاب فى شىء .. اذهب الآن إلى (ديفون) وفكر فى الأمر مليًا .. ثم عُدْ وقل لى ما فكرت فيه ..

وضحك وفرك يديه كأنه طفل يحاول حلّ لغز .. قال (رايكس) :

ـ لن أقوم بهذه العملية ..

ـ بل ستفعل .. ليس لديك الخيار ..

★ ★ ★

رفع (رايكس) سماعة الهاتف طالبًا (بيللا) فردت عليه ..

- (بيللا) .. هو الآن آت إليك .. هل كل شىء فى ذهنك ؟

- نعم ..

قال فى حنان :

- لا تقلقى يا ملاكى .. سأخرج الآن لأحضر (برنزر) معى .. سنظل هناك نراقب المكان ونراك حين تصلين معه .. وحين يخيم الظلام ويكون فى غرفة مكتبه عليك أن تقفى أمام النافذة وظهرك لنا حتى نراك بوضوح ..

- ليكن ...

- هذه هى فتاتى المفضلة ..

- (أندى) .. ماذا لو ..؟

- لا تفترضى شيئًا .. وداعًا يا ملاكى ..

ووضع سماعة الهاتف ..

(أندى) !.. لقد بدأت منذ قريب تدعوه بهذا الاسم .. وكلما سمعه منها أحس بالغثيان يخنقه !..

من الخزانة أخرج قنبلة بلاستيكية صغيرة .. ثم أخرج سلّة صغيرة بها حبل وقفازات .. والآن (برنزر) ينتظر وقد ارتدى معطفًا كمعطف (سارلنج) وألصق شاربًا كشارب هذا الأخير .. ما هذا ؟.. كتيب دعاية السفينة ؟.. دون تردد مزقه إلى نصفين ورماه فى سلّة المهملات ...

لقد حان وقت العمل ......

★ ★ ★

- ٨ -

وراء المكتب الكبير ذى السطح الجلدى الأحمر يجلس ، قصيرًا قميئًا يثبت عينيه على بقعة فى الفضاء خلف رأسها ويملى عليها محضر اجتماع (باريس) .. هذا هو (سارلنج) ..

أمامه تجلس (بيللا) تدون بالاختزال ما يقول .. يده ممددة فوق المكتب تمسك كالمخلب كوبًا من اللبن ، ويده الأخرى تعابث طرف شاربه .. وأدركت دون جهد أنه شارد الذهن ..

أيقنت أن شيئًا ما يشغل باله إلى حدّ مروع ..

وخطر لها أنه - فى مكان ما وسط الظلام - يقبع رجلان ينتظران الدخول بينما يلفهما الظلام بأصابعه الندية .. رجلان واثقان من نفسيهما تمامًا .. لكنهما لن يفعلا شيئًا حتى تذهب هى إلى النافذة .. فإن لم تفعل لا تنتظرا حتى يفقدا الأمل ويرحلا .. وعندئذ يعيش هذا الرجل فترة أخرى ...

مال على المكتب وأسند وجهه بين أنامله .. وتأمل وجهها حتى بدأت تشعر بالارتباك ..

وفجأة سألها مباغتًا :

- (بيللا) .. إلى أى مدى وصل (رايكس) فى خطته لقتلى ؟!



مال على المكتب وأسند وجهه بين أنامله .. وتأمل وجهها حتى بدأت تشعر بالارتباك ..

- لا أدرى عن أى شىء تتحدث !
النظرة تزداد تركيزًا على وجهها :
- (بيللا) .. أجيبى ..
- لا أدرى .. هل تظنه يخبرنى بهذا ؟
- إذا أراد معاونتك له ..
- ثق أنه لم يطلب معاونتى .. ولن ينالها إذا طلبها ..
تمدد بظهره إلى الوراء وقد شبك يديه الكبيرتين المكسوتين بالشعر .. وقال :
- إن (رايكس) يريد موتى .. لكنه يريد الملفات أولاً .. أنا أحتاج هذا الرجل .. أفهم أنك تحبينه يا (بيللا) ولن تتركى فرصة لمساعدته .. لهذا سأقوم بنقل نسخ الملفات من هنا إلى خزينة الشركة فى (لندن) .. ثم أنقلها إلى البنك يوم الاثنين ..
هتفت فى سرها :
- إفعل ذلك أرجوك .. أغلق الباب فى وجه القتل .. فكلا الرجلين لن يستطيع السطو على البنك .
نظر لها (سارلنج) فى هدوء :
- هل قلت له كيف تعمل الغرفة المصفحة ؟
- كيف ذلك وأنا لا أعرف ؟

ـ كاذبة يا (بيللا) .. كل ما عليك هو مراقبتى وإبلاغه بما أفعله وسيفهم هو .. لقد أصبحت ملكًا له وأنت بذلك راضية .. أنت حمقاء يا (بيللا) .. فهذا الـ (رايكس) لن يتورع عن قتلك إذا ما فرغ من قتلى . لهذا يجب أن أحميك .. سأرسلك إلى مكتب (نيويورك) لتعملى هناك ستة شهور ولسوف يروق لك العمل هناك ..

ثم أردف :

ـ أنت من نوع النساء اللواتى يمنحن حبهن وإخلاصهن لأول رجل يظهر لهن حنانًا .. لكننى أعرف (رايكس) .. هو لا يريد سوى السلام المطلق فى حياته التى يخطط لها .. والآن اطلبى السيارة .. نحن عائدان إلى (بارك ستريت) هذه الليلة .

ونهض إلى الباب المصفح فدفع المربع النحاسى ، ثم وضع إبهامه الأيسر على لوحة الكروم المعدنية ، فانفتح الباب ..

ـ لا تنسى حين ترينه أن تخبريه بأن عليه سرقة البنك للحصول على الملفات .. راقبى وجهه حين تخبرينه .. لن ترى عليه أى تعبير لكننى أعرف أن دوامة ستجتاح عالمه ..

النافذة بجوارك يا (بيللا) .. كل ما عليك هو أن تقفى وظهرك لها .. لن تستطيعى عمل ذلك .. ليس الآن .. (سارلنج) يشك فى الأمر .. لكن لا .... رغم كل شىء تسير ببطء إلى النافذة .. لا ..!

★ ★ ★

إنها الإشارة ..!

لقد تبينها (رايكس) و(برنزر) حيث وقفا فى الظلام يترقبان ويصغيان لدقات ساعة الكنيسة تعلن التاسعة ..

ثم فجأة انزاحت الستارة فى نافذة غرفة المكتب وبرز شعاع من النور يتألق فيه ظلّ شخص ما .. ثم عادت الستارة إلى مكانها تغطى النافذة ...

مدّ يده فى جيبه وأخرج القفاز .. ثم بدأ السير نحو المنزل ببطء .. ببطء ..

تسلقا نافذة حجرة المكتب ، ودون جهد وثبا إلى الداخل وقد بهر ضياء الحجرة عينيهما ..

كانت (بيللا) بعد ممسكة الهاتف .. فما أن رأتهما حتى ابيض وجهها كوجوه الموتى ، وفغرت فاها فى صرخة صامتة ..

ودون كلمة أخرى أشارت نحو باب الغرفة المصفحة ..

هرع (رايكس) إلى هناك وانتظر (سارلنج) الذى برز من الباب حاملاً علبة ملفات ، فانقضّ عليه وجذبه صائحًا :

- مهما صرخت فلن يسمعك أحد !

تمالك (سارلنج) روعه وقال فى رزانة :

- لا شك أنك تعرف أن الجدران عازلة للصوت .

ودون كلمة أخرى تناول الرجلان الملفات منه .. فنظر هذا إلى (بيلا) وسألها :

- عندما كنا نتحدث .. هل كنتِ تعرفين أنهما بالخارج ؟

- نعم ..

هزّ كتفيه وابتسم واستدار إلى (رايكس) :

- لقد كانت خير عون لك .. أرجو أن تكافئها بسخاء .

أخرج (رايكس) قفازًا وأمر (سارلنج) أن يرتديه ..

- وما هى الفكرة ؟

- لا نريدك أن تحاول تشويه إبهامك الأيسر .. نريد الحفاظ عليه حتى تفتح الغرفة الأخرى ..

ارتدى (سارلنج) القفاز فشرع (رايكس) يقيد ذراعيه أمامه فى حذر حتى لا يدمى المعصمين ..

ثم شرع (برنزر) يضع الملفات جميعًا فى حقيبة أوراق .. ثم كوّر (رايكس) منديلاً ودسّه فى فم (سارلنج) ..

قالت (بيلا) :

- ألا يمكن تغيير الخطة الآن يا (آندى) ؟

تمالك (رايكس) شعور الغثيان الذى داهمه حين سمع هذا الاسم الكريه .. ما أغبى هذه الفتاة ..!.. قال فى صبر :

- لا تغيير !

ثم سألها وهو يقود (سارلنج) إلى النافذة :

- متى تصل العربة ؟

- حالاً ..

ثم ضغط على الزرّ فانغلقت الحجرة المصفحة ..

وشرعا ينفذّان مخطط الهرب عبر النافذة ، ومعهما (بيللا) و(سارلنج) المقيد معدوم الحيلة ..

★ ★ ★

ظل (سارلنج) صامتًا طيلة الطريق ينظر إلى لا شىء ، بينما (رايكس) يدخن فى شراهة ، و(بيللا) تقود السيارة وتختلس نظرات إلى الوراء عبر المرآة ، كان (برنزر) يتبعهما فى سيارة (سارلنج) .. بعد دقائق من الصمت الثقيل ارتفع صوت (سارلنج) الذى كانوا قد حرّروا فمه :

- (بيللا) ..!

- نعم ..

- إن أى شخص لن يرغب فى الموت .. و(رايكس) لن يجدى معه التوسل .. لكن قد يختلف الأمر معك .. أنتِ مختلفة يا (بيللا) وتدينين لى .. ولولاى لكنتِ فى السجن منذ زمن .. أنت لا تريدين أن تتورطى فى جريمةَ قتل ..

قال (رايكس) وهو يتثاءب :

- ظللت أنتظر أن تقول هذا الكلام منذ ركبنا ..

ثم أردف :

- بالطبع هى لا تريد أن تتورط فى جريمة قتل .. وكذا أنا .. لكننا تورطنا رغمًا عنا .. وأنت السبب يا (سارلنج) ..

ونظر إلى (بيللا) الذاهلة .. وقال :

- هل تريدين أن أخبرك بما سيقترحه ..؟.. سيعطيك مائة ألف يا (بيللا) يوم الأثنين صباحًا بمجرد أن تفتح البنوك أبوابها مقابل أن تكسرى إحدى الإشارات أو تقعى بالسيارة فى حفرة .. أى شىء يوقف مسيرتنا ويلفت لنا الأنظار .. عندئذ - يوم الأثنين - تصيرين غنية حرة .. ربما أعطاك العالم كله .. كل السعادة تنتظرك يوم الأثنين .. لكنك تعرفين أين ستكونين وقتها .. أليس كذلك ؟ جالسة فى مكتبه تعملين على الآلة الكاتبة .. وفى المساء ...

- كفى هذا ! - صاحت في غضب - لا أريد كلمة أخرى !

كفا عن الكلام .. وبعد قليل ضحك (سارلنج) :

- أنت ذكى يا (رايكس) .. طبعًا كنت سأعرض عليها الدنيا كلها ثم أعدّل الصفقة بعدها ..

كانت تقود السيارة كإنسان آلى ...

تقود السيارة إلى (لندن) .. سيصعد (سارلنج) السلم إلى غرفة النوم ويموت أثناء نومه .. هذا ما يجب أن تقتنع نفسها به .. (سارلنج) سيموت أثناء النوم ...

كانت الساعة الواحدة والنصف حين وقفت السيارة أمام الجراج وأخرج (رايكس) المنديل ليكمم (سارلنج) .. فقال له هذا :

- ألا يوجد ما أمنحه لك لتتركنى ؟

- لا شىء ..

- إذن أرجوك أن تكون رحيمًا مع (بيللا) .. أتركها لحالها فهى تستحق ذلك ..

هزّ (رايكس) رأسه وأغلق نوافذ السيارة جميعًا .. ثم عاد للباب الخلفى وأخرج من السلة قنبلة بلاستيكية صغيرة لفّ مسمارها قليلاً ..

أخذ (سارلنج) يركل . يحاول التملص .. لكن (رايكس) شدّ مسمار التفجير ودحرج القنبلة على أرضية السيارة ، ثم أغلق الباب قبل أن يسمع صوت الانفجار المكتوم .. اتجه بهدوء إلى مقعد وجلس ينتظر .. يحتاج إلى ساعة كاملة حتى يختفى أثر الغاز السام ..

وفى هذه الساعة سيفكر فى (ألفرتون) ..

بعد قليل جاء (برنزر) .. وسار معه إلى السيارة ففتح كل منهما بابًا ثم هرعا خارجين من الجراج .. وانتظرا ربع ساعة قبل أن يعودا ..

هذه المرة كان (سارلنج) متكومًا فى المقعد الخلفى وقد فارق الحياة .. أخرجاه .. ومشيا عبر الردهة حتى وصلا للطابق الأول .. ثم دخلا غرفة المكتب التى كانا يعرفان مكانها بدقة من الصور .. ونزعا القفازين عن يد (سارلنج) ..

وباستخدام إبهام الجثة الأيسر تمكنا من فتح الخزانة المصفحة ، ثم حملا الجثة إلى غرفة النوم ووضعاها فى الفراش ..

وبرغم ذعر (بيللا) الشديد استطاع (رايكس) إقناعها بمعاونته فى نزع ثياب (سارلنج) وإلباسه منامته .. ثم قلب الوسائد كأن (سارلنج) كان نائمًا منذ برهة حين حان أجله .. ثم قال لها :



هذه المرة كان (سارلنج) متكوماً فى المقعد الخلفى وقد فارق الحياة ..
أخرجاه .. ومشيا عبر الردهة حتى وصلا للطابق الأول ..

ـ والآن هيا .. إذهبى إلى حجرتك للنوم .. خذى ثلاثة أقراص منومة ..

وربت على خدها ملاطفًا ..

وهرع إلى الجراج حيث كان (برنزر) ينتظره حاملاً الملفات كلها .. فشرعا ـ بالقفازات فى الأيدى ـ يفرغان منافض التبغ فى منديلهما ليخفيا ما كانا دخناه من لفافات تبغ .. وسرعان ما انطلقا معًا بالسيارة ...

★ ★ ★

تاركين خلفهما (بيلنلا) راقدة فى الفراش محدقة بعينين لا تطرفان فى الظلام ، عالمة أن الحبوب المنومة لن تجديها فتيلا ....



فرغ (رايكس) من حمامه فخرج منتعشًا إلى الصالة ..

هناك كان (برنزر) جالسًا فى استرخاء يحسو بعض القهوة بانتظار قطاره العائد إلى (برايتون) ..

كان كلاهما يقظًا نشيطًا رغم أنه لم ينم ليلة أمس ..

وحين تبادلا النظرات أدركا أنهما كانا وسيظلان أخوين تربط بينهما أواصر أقوى من الحب ذاته ...

- ماذا سنفعل بشأن (بيللا) ؟

- لا شىء الآن .. لابد أن تمر فترة مناسبة حتى لا تثير الشكوك ..

- عندما يحين الوقت اتصل بى إذن ..

- بإمكانى التصرف وحدى ..

- لا .. نحن دائمًا نقوم بكل شىء معًا ..

ثم أن (برنزر) مدّ يده إلى المنضدة حيث كان الكتيب الممزق إلى نصفين .. وقال :

- أمس وجدته فى سلة المهملات .. إن بعض مذكراته جيدة فعلا ..

- لم أحاول قراءته .. كان المخبول يريدنا أن نستولى على سبائك ذهبية من داخل هذه السفينة .

- لو أنه عرض علىّ هذا من خمس سنوات لفكرت بالأمر .. كنت اشتريت ضيعةً كضيعته حولها سور عال .. وقصرًا به أفخر الرياش .

- أما أنا فأرفض هذا تمامًا .. السرقة ليست مجالى ..

- ربما ترفض الفكرة لأنهـا جاءت منـه ولم تأت منك أنت .. لابد لهذه الأشياء أن تنبع من داخلك .

فى السادسة مساءً - بعد رحيل (برنزر) - جاءت (بيللا) إلى الشقة .. فنهض (رايكس) يعينها على الجلوس وخلع معطفها .. لابد أن أعصابها فى الحضيض ..

- كنت خائفة كما لو كان جرمى مكتوبًا على وجهى ..

- وماذا حدث بالضبط ؟

- جاء إلى (بينز) فـى الصباح يقول لـى أن مستر (سارلنج) لا يصحو من النوم .. طلبت طبيبه الخاص .. قال لى إنها سكتة قلبية خاصة والفقيد يعانى مشاكل مع قلبه منذ أعوام .. وطلب منى الطبيب أن أتصل بمحامى (سارلنج) ليرتب الأمور ..

- لم يطلب التشريح ؟

- لا .. فقط جلس وكتب شهادة وفاة .. كان لا مباليًا إلى حدّ أثار حنقي ..

- كنت حقًا رائعة !

قالها وألقى بملفها الوردى فى حجرها .. وأردف :

- أرجو أن تحرقى هذا .. أنا لم أقرأه ولا أريد ذلك ..
ثم سألها وقد ضايقته نظرة الهيام فى عينيها :
- متى ينتهى إيجار هذه الشقة ؟
- إنه مدفوع حتى آخر (مايو) ..
- ليكن .. أما أنا فعلىّ الآن التخلص من تلك القنابل .. فهى خطرة .. بعدها أعود إلى (ديفون) .. هناك السيارة كذلك .. سنتخلص منها فيما بعد .. ما ألذ الشعور بالحرية !
واتجه إلى الطاولة ليصب بعض الشراب لنفسه ...

★ ★ ★

صباح الثلاثاء :
احتل خبر وفاة (سارلنج) بسكتة قلبية مكانًا بارزًا فى جريدة (التيمز) ، وفى نفس اليوم قام (رايكس) بنقل القنابل البلاستيكية المخبأة بالجراج إلى صندوق عادى من الورق المقوى ..
ثم قاد سيارته إلى غابة (إبنج) ورمى هناك صندوق الجيش الأصلى .. حيث سيجده طفلان بعد أيام ويأخذانه إلى بيتهما ليصنعا منه بيتًا للأرانب ..
فى نفس اليوم أيضًا قامت (بيللا) بتنظيف الشقة .. ووجدت الكتالوج الممزق الخاص بشركة (كونراد) ..

للسياحة ... وانتابها الفضول فقامت بلصقه بشريط لاصق لتعرف محتوياته ، ووضعته جوار الفراش تحت بعض المجلات لتقرأه فيما بعد ..

إلا أنه - حين حضر (رايكس) - كانت قد نست كل شيء عن الكتالوج .. ولن تتذكر أمره إلا بعد أيام ...

★ ★ ★

في اليوم التالي لجنازة (سارلنج) ذهب (رايكس) إلى (ديفون) وفي رأسه عشرات الخطط للخلاص من (بيللا) .

لن يكون وضع خطة صعبًا .. التنفيذ هو الصعب .. لأنه لم يكن يكرهها كما كان يكره (سارلنج) .. بل إنه أحيانًا كان يشعر بميل تجاهها .. الخرقاء البريئة العزيزة التي تعرف أكثر مما يجب ..

وفي داره أخفى صندوق القنابل في المخزن ..

ثم شرع يحرق الملفات الوردية في المدفأة ..

وفي الصباح التالي حمل ست قنابل إلى الأحراش وفجرها بعد ما تأكد أن أحدًا لا يراقبه ..

ولم تزل في الصندوق اثنتان وثلاثون قنبلة ..

★ ★ ★

مع (ماري) جوار المدفأة .. هكذا بدأت القصة :

يرمقان كتل الخشب المشتعلة ويحلمان ..

كانت ترتدى سروالاً أحمر و (بول أوفر) من الصوف الأخضر وقد مدت ساقيها نحو المدفأة تصطلى ..

وكانت تفكر : لو لم تخبره الآن تكون قد خدعته .. ولن يغفر لها هذا أبدًا .. المهم ألا تدمع عيناها لأن الرجال يضعفون أمام الدموع ولربما أعطوا وعودًا يندمون عليها فيما بعد ...

- (أندى) .. ثمة شىء أريد أن أصارحك به ..

- هم م م ؟

- أنا لن أنجب أطفالاً !

وأمام عينيه الخرساوين مدت يدها إلى جيبها تخرج خطابًا مطويًا :

- هذا خطاب من طبيب أمراض نساء فى (بلايموث) ..

سيدتى ...

إيماءً إلى زيارتك لى الأسبوع الماضى لفحص ما قبل الزواج ، أحيطك علمًا بأن جراحة الزائدة الدودية التى أجريت لك منذ ستة أعوام قد أظهرت وجود ورم فى الحوض ، لهذا اضطر الجراح إلى استئصال المبيضين وقناتى (فالوب) ، وأجد من واجبى أن أصارحك بأن فرصتك فى الإنجاب توشك أن تكون معدومة .

قرأ الخطاب وأدرك أنها توشك على البكاء .. أحس بالعطف عليها وقال لنفسه : لو أننى أعرف الحبّ لما اهتممت بالأمر بتاتًا .. لكننى معجب بصراحتها وأمانتها ..

قال وهو يعيد الخطاب لها :

- ليس هذا أكيدًا ..

- (أندى) .. يجب أن نكون صادقين .. إن أهم شىء لديك هو (ألفرتون) .. أنت تحتاج إمرأة تملأ الدار لك بالأطفال الذين يحملون اسم الأسرة .. وأنا عن ذلك عاجزة .

- إذن نجرب حظنا ..

- لن أدعك تقامر ..

- (مارى) .. ماذا تظنين ؟.. أتظنيننى تاجرًا يبحث عن فرس من سلالة خصبة ؟

- كلا .. لكن ما أتحدث عنه هو الأولاد الذين تحلم بتربيتهم .. ربما لن تشعر بالخسارة الآن .. لكنك ستشعر بها فيما بعد .. وإننى لأعفيك من أى التزام ..

- لا تكونى حمقاء ..

لكنه كان يعرف ...

يعرف أنه لن يتحمل ..

يعرف أن الشىء الوحيد الذى يتمناه هو الإنجاب ..

يعرف أنه لن ينسى هذه اللحظة أبدًا ...

★ ★ ★

صوت الراديو آت من غرفة النوم ، على حين تفرغ (بيللا) من حمام المساء وترتدى الروب ، ثم تمضى إلى حجرة نومها .. وهنا سمعت تلك التكة المميزة لانفتاح فانغلاق باب الشقة .. أصابها الهلع وكانت تصرخ ...

وهنا برزت إمرأة على باب الغرفة .. وبنعومة قالت :

- لا تقلقى أرجوك !.. لا أحد يحاول إيذاءك .

- من أنت ؟.. كيف دخلت هنا ؟

- أسئلة كثيرة أردّ عليها فى الصالة ؟

كانت المرأة فى الثلاثين من عمرها .. قصيرة .. نحيفة .. ترتدى عوينات شفافة وحلة أنيقة من الصوف الكاروهات .. وتبتسم بودّ :

- لو كنت مكانك لصرخت .. لحسن الحظ أنك لم تفعلى .. بالمناسبة .. اسمى (إيثيل) .. وهو اسمه (بنسون) .

خرجت (بيللا) إلى الصالة لتجد هذا الـ (بنسون) واقفًا ينتظرها .. ويبتسم :

- عسى ألا نكون أزعجناك بدخولنا بهذه الطريقة !

- ماذا تريدان ؟

- فلنجلس أولاً ونتكلم ..

كان فارع القامة وسيمًا .. أنيقًا إلى حدّ أكثر من اللازم .. يا الله !.. ماذا يريدان ؟....

- والآن يا مس (فيكرز) .. اللافتة على الباب تقول أن هذا مسكن آل (فيكرز) .. فأين زوجك ؟ ..

- ليس هنا .. مسافر .. عمله .. يسافر كثيرًا .

رفع الرجل عينيه نحو المرأة آمرًا في حزم :

- (إثيل) .. عليك تفتيش الشقة بعناية ..

نهضت المرأة على حين استدار نحو (بيللا) مردفًا :

- كم عمر زوجك ؟.. وكيف يبدو ؟

- في الخمسين من العمر .. قصير بدين .. أصلع ..

- أنت تكذبين .. فأنا أعرفه جيدًا .. أنت سكرتيرة مستر (سارلنج) رحمه الله .. أليس كذلك ؟

- بلى .. اسمع .. عليكما بالخروج الآن وإلا صرخت وطلبت الشرطة .

هزّ كتفيه في استهتار .. وغمغم :

- كما تشائين .. أنا شخصيًا أفضل ذلك ..!

جلست (بيللا) في غباء ولم تفعل شيئًا ..

- لقد أعطيتك الفرصة فلم تستغليها .. لماذا يا ترى ؟.. أعتقد أن لدى فكرتي الخاصة عن السبب .. ما هو اسم مستر (فيكرز) الحقيقي ؟

ولما واصلت الصمت .. أضاف :

- الاسم الذى عرفته به هو (تونى آبل جيت) .. لكنى واثق أن هذا ليس اسمه الحقيقى .. فما هو ؟
- ماذا تريد منه ؟
- تلك قصة طويلة .. نريد مقابلته لمناقشة العمل .. ما هو اسمه وكيف نجده ؟
ولما عادت إلى الصمت قال لها :
- إذن .. أبلغيه أن (بنسون) يريد من (آبل جيت) أن يلقاه هل ستنسين ؟
وهنا عادت المرأة من الداخل حاملة (الكتالوج) الممزق إلى نصفين الذى أعادت (بيللا) لصقه ..
- وجدت هذا فى غرفتها !
أدركت (بيللا) أن هناك شيئًا ما خطأ .. شيئًا مخيفًا لكن من يرشدها لما لا ينبغى وما ينبغى أن تقوله ؟
الرجل يتصفح (الكتالوج) بأظفار لامعة .. ثمة خاتم سميك من الذهب فى يده ..
ثم رفع وجهه نحوها وابتسم :
- هل يهمك أمر هذا (الكتالوج) ؟
- لا .. البتة !
- إذن ساحتفظ به بعد إذنك .. لا تنسى إبلاغ (آبل جيت) برسالتى ، وأكرر أسفى على الإزعاج الذى سببناه ..
وغادر الشقة مع الفتاة ..

أدركت (بيللا) أنها قارفت خطأ جسيمًا لا تدرى ما هو .. هرعت إلى الهاتف تطلب رقم (رايكس) فى (ديفون) .. عبثًا حاولت نصف الساعة لكن الجرس ظل يدق هناك كحيوان يئن فى أعماق نفق مظلم ..

★ ★ ★

عزيزى (أندى) :

بكل أسف أقول لك أننى اتخذت قرارى ولا رجعة فيه .. عندما تقرأ هذا الخطاب أكون فى طريقى إلى (قبرص) لقضاء بضعة أيام ، أى أننى أفسخ خطبتنا وأعفيك من أى التزام نحوى .

(مارى)

جلس فى مكانه يفكر وقد طوى الخطاب ...

ثم نهض إلى النافذة شاعرًا بالارتياح لأنها أزالت عن كاهله عبئًا أخلاقيًا مروعًا ..

لقد قتل (سارلنج) لأنه كان عقبة أمام أحلامه .. وهو الآن يخطط لقتل (بيللا) ..

ربما كان سيفعل نفس الشىء مع (مارى) ...

لكن نهاية قصة (مارى) أورثه شعورًا بالقلق .. عليه الآن أن يجد فتاة أخرى تأخذ مكانها فى أحلامه ..

★ ★ ★

في السابعة صباحًا وصل إلى شقة (ماونت ستريت) .. ففتح الباب بالمفتاح ودخل ...

وفى غرفة النوم كانت (بيللا) التى صحت مذعورة حين رأته .. فما أن عرفته حتى طوقت عنقه بذراعها باكية وحكت له كل شيء عن زيارة (بنسون) ..

اللعنة !.. لابد أن نجمه منحوس !.. كلما دنا من حلم حياته ظهرت له عقبة ما أن يزيحها حتى تظهر عقبة أخرى .. مثله مثل أمه .. لقد ورث عنها قلة حظها ..

رفع سماعة الهاتف وطلب رقمًا ما ..

- هاللو ..

- لقد عاد (تونى آبل جيت) ويطلب موعدًا .

بعد ساعة - كما فى المرة الأولى - دق جرس الهاتف ، وطُلب منه أن يذهب إلى فندق (ريتز) غدًا فى العاشرة ..

★ ★ ★

كانت الحجرة كما رآها أول مرة .. وكان ذلك اللص الوسيم (بنسون) واقفًا فى وسطها مثالاً للوسامة والرجولة ..

قال (رايكس) :

- لماذا لم تتصل بى بدلاً من إثارة رعب (بيللا) ؟

- أحيانًا تأتى الزيارات غير المتوقعة بثمار طيبة !

وابتسم ابتسامة ذات مغزى وأردف :

- سبب زيارتى هو أنك لم تتصل بى بشأن العملية .. ورجل الأعمال الناجح لابد وأن يتابع أعماله باستمرار .. ماذا حدث لك إذن ؟

- قررت ترك العملية فحسب ..

- هل لى أن أعرف السبب ؟

- مخاطرها كبيرة .. كما أنها ليست من اختصاصى ..

- على العكس .. هى فى اختصاصك تمامًا !

لم يكن (بنسون) قائل هذه العبارة .. بل كانت من رجل طويل أشيب ذى أنف معقوف مما أعطاه سيما الصقر .. وكان قد دخل الغرفة دون أن يلاحظه (رايكس) ..

- أقدم لك مستر (ماندل) مدير شركتنا ..

جلس (ماندل) على المكتب ومدّ يده إلى كتيب كان هناك .. كتيب (كونراد) تحديدًا .. وقال :

- دعنى أؤكد لك يا مستر (رايكس) أنك ستقوم بهذه العملية .. أولاً لأنك جدير بها .. ثانيًا لأننى سأجبرك على ذلك !

دون جهد أدرك (رايكس) أن الرجل يملك من الأسباب ما يبرر له كل هذه الثقة .. لهذا لم ينهض غاضبًا كما أزمع وجلس يصغى ...

- أنت كنت تعمل مع (سارلنج) .. نحن نعلم ذلك .. ونعلم - من هذا (الكتالوج) - أنه كان يخطط لسرقة

السفينة (كوين إليزابث) .. لقد كان (سارلنج) ثرثارًا رغم زعمه .. وكان من السهل أن نعرف أنه يضغط عليك .. أنت قد صرت حرًا الآن .. وهناك احتمال لا بأس به أن تكون قد قتلته أنت وزميلك واستخدمتما بصمته فى الحصول على الملفات ..

لا أقول إنك فعلت هذا .. فأنا لست واثقًا .. إنه مجرد فرض .. لكن بضع كلمات مع البوليس كافية لإعادة التحقيق فى موت (سارلنج) .. أنا أعرف أنك و(برنزر) لن تتكلما .. لكن الفتاة هشة ويسهل الإيقاع بها .. فهل أنت حقًا مستعد لهذه المخاطرة ؟

أطفأ (رايكس) لفافة تبغه فى المنضدة .. ثم وضع (الكتالوج) فى جيبه .. وتساءل بصوت مبحوح :

ـ وما هو الضمان أن تتركونى فى سلام بعد هذه العملية ؟

ـ كلمتى فقط .. عندما ينخرط المرء فى عالم الجريمة فإنه يتخلى للأبد عن الشعور بالأمان .. إنها النتيجة الحتمية للمال الحرام .. غير أن هناك نوعًا من الثقة يسود عالمنا والآلاف يعتمدون على ذلك ..

ـ ربما أقتلك أنت أيضًا ؟

- لا .. هناك عشرات الأشخاص ورائى .. لقد كان (سارلنج) يعمل منفردًا وتلك هى غلطته الكبرى .
- وهل لابد من توريط (برنزر) فى هذا ؟
- حتمًا .. وكذلك مس (فيكرز) ..
ثم وقف فى حزم معلنًا انتهاء المحادثة :
- ستتحمل معظم الخطر وحدك وتحصل على خمسة وسبعين بالمائة .. سيحدثك (بنسون) عن التفاصيل ..
ومدّ يده إلى (رايكس) لكن هذا تجاهلها فى اشمئزاز وغادر الحجرة ....

★ ★ ★

لم يكن به غضب الآن .. هناك حيث مشى تحت الثلج المنهمر غير شاعر به .. (سارلنج) ثم (مارى) ثم (ماندل) .. كلهم ضدى .. كلهم أجلوا حلمى إلى أجل غير مسمّى .. لا سبيل إلى الهرب .. لا سبيل ...
وعندما دقت الساعة الثانية دق هو جرس (برنزر) فى (برايتون)...
فتح (برنزر) له الباب مرتديًا سترة من اللون الأزرق القاتم وسروالاً رماديًا ..
ولم يكن يعرف ما يحمله له من أخبار ...

★ ★ ★

مما أثار دهشة (رايكس) أن (برنزر) بدا متحمسًا للعملية .. مبتهجًا بها .. وإذ وقف (رايكس) .. قال :

- هذا هو كل شيء .. أقترح أن يفكر كل منا على انفراد ثم نلتقي لتبادل الرأي .. لن تبحر (كوين إليزابث) إلا بعد ١٨ إبريل .. يمكننا الإعداد لكل شيء قبلها ..

قال (برنزر) وهو مازال جالسًا :

- أنت مندهش لرد فعلي تجاه العملية ..

- بالتأكيد ..

- يا عزيزي (فرامبتون) .. نحن واجهنا مخاطر عديدة معًا طيلة حياتنا .. ولم نفعل ذلك لأجل المال فقط .. فكر في الأمر وستجد أن لنا سلوكًا مغايرًا لكافة الرجال .. إننا لا نستطيع الحياة في سلام مطلق .. فلابد لنا من حياة الأخطار .. إننا - بالواقع - غير سويين .. عاجزان تمامًا عن الانتماء للمجتمع العادي ..

ضحك (رايكس) في مرارة :

- ربما يريحك هذا التفسير .. لكنني أعرف تمامًا أنني بحاجة إلى حياة هادئة مستقرة أسرية .. ولن أدع أحدًا يقف في طريقي .



كان بحاجة إلى دراسة السفينة بعناية ..

فالخطة التى وضعها تقضى بسرقة الذهب خلال ست عشرة ساعة من مغادرة السفينة لـ (ساوث هامبتون) وهى ما زالت فى (المانش) .. إن هذه السفن تشبه المدن العائمة ومن السهل على الإنسان أن يضل طريقه فيها ..

لهذا سافر إلى (ساوث هامبتون) حيث أقام فى فندق (بولى جون) حيث يقيم عدد كبير من العاملين فى شركة (كلايد) ينتظرون التمام من إصلاح السفينة ..

وبعد أيام استطاع أن يتعرف على مهندس سكير اسمه (ألفريد جرهام) .. لم يكن عسيراً أن يحمله إلى الفراش ويسرق منه تصريحه الذى لم تكن به صور فوتوغرافية .. وتمكن أن يدخل السفينة بهذا التصريح ، خاصة بعد أن أدرك أن الحارس لا يأخذ التصاريح بل يكتفى بالتلويح بها ...

وهكذا دخل (رايكس) السفينة ..

كان يعرف أن سرقة الذهب هينة لكن نقله من السفينة شبه مستحيل ، مالم تقم طائرة (هليوكوبتر) بالتحليق فوق السفينة لترفع الذهب إليها ..

وضايقه أن وجد عاموداً فى منتصف سطح السفينة ، مما سيجعل مهمة (الهليوكوبتر) فى التحليق عسيرة ..



لم يكن عسيرًا أن يحمله إلى الفراش ويسرق منه تصريحه الذى لم تكن
به صور فوتوغرافية ..

على أنه درس قلب السفينة والكافتريات وسطوح القوارب .. إلخ .. كان المكان يغصّ بالعاملين لكن أحدًا لم يستوقفه أو يطلب تصريحه ..

حاول كذلك أن يعرف مكان القيادة حيث سيوجد القبطان وحيث سيحاول (رايكس) أن يفرض إرادته عليه ، وعلى السفينة كلها ..

وتعرف ـ بكل ثقته المصطنعة ـ على أحد الضباط زعم له أن رجلاً يدعى (فيرار) ينتظره فى قمرة القيادة .. لا يوجد لدينا (فيرار) .. تعال لتر بنفسك .. إن الضابط رائق المزاج ـ فغدًا الأحد إجازة ـ ومستعد ليريه كل شىء على أساس أنه (جرهام) المهندس ..

كل شىء رآه (رايكس) .. بما فى ذلك العامود الذى أثار قلقه والذى لم يكن سوى تلسكوب يتم خفضه بعد إقلاع السفينة .. لا بأس على الإطلاق ... لقد اطمأن قلبه ..

وفى المساء عاد ليقابل (بنسون) ...

★ ★ ★

ـ لقد أعددنا الخطة .. لكننى بحاجة إلى صلاتكم النفوذية من أجل تدبير بعض أشياء ..

ـ مثل ماذا ؟

ـ أنا ومس (فيكرز) سنكون على ظهر الباخرة .. لا أريد كابينة لى بل كابينة باسمها هى .. ولتكن الكابينة رقم (٤٠٠٤) لأن موقعها يناسبنى ..

ـ ستكون لك الكابينة .

ـ بعد ترك السفينة (لوهافر) بأربع ساعات ستكون فى شمال (المانش) وسرعتها ٢٧ عقدة .. أريد منكم تدبير طائرة عمودية (هليوكوبتر) تنطلق من (فرنسا) .. لا تهمنى سرعتها .. المهم أن يكون مجالها مائتى وخمسين ميلاً .. وأن يكون بها ونش قادر على رفع سبائك الذهب فى شبكة .

ـ لكن السرعة عالية ولربما سببت الريح مشكلة ..

ـ لا مشكلة لأن السفينة ستبطئ سرعتها وتستدير مع الريح .

ـ بناء على تعليماتك ؟

ـ بل تعليمات القبطان التى سأجعله يصدرها .

طلب (رايكس) من (بنسون) كذلك أن يكون (برنزر) على متن (الهليوكوبتر) ولذلك يجب معرفة الوزن الذى تستطيع الطائرة حمله مع أربعة رجال .. ويجب إجراء تجارب لمعرفة الوقت اللازم لرفع طن أو طنين من الذهب ..

- لا بأس - قال (بنسون) - : إلا أنك ستتحمل جزءًا من النفقات يُخصم من نصيبك بالطبع !

★ ★ ★

وفى إحدى ليالى منتصف (إبريل) ذهب ليقابل (برنزر) على مقهى (راك) ..

كان جالسًا هناك مع (بنسون) يتحدثان بخصوص العملية المقبلة .. فما أن رآه (برنزر) حتى أخبره أن التجارب لا بأس بها مع الطائرة حتى فى وجود رياح شديدة ، وأنه يمكن رفع الذهب خلال أربعين دقيقة .. إن الطائرة سترفع ستمائة رطل فى كل مرة أى أربع وعشرين سبيكة .. والمطلوب رفع أربع نقلات .. كان من الضرورى عدم تطويل الفترة على القبطان حتى لا يفكر فى أعمال حمقاء ..

وحين تنتهى العملية يلحق (رايكس) بركاب الهليوكوبتر التى ستحلق داخلة الحدود الفرنسية ، وفى (بريتانى) فى (فرنسا) يتم تخزين الذهب فى قلعة قديمة اسمها (ميريا) .. على حين يتولى (بنسون) تصريف هذا المخزون ..

ستسافر (بيللا) على ذات السفينة فى الكابينة التى اختاروها لها .. ولن تظهر معرفتها لـ (رايكس) بأى شكل ..

واصطحبها (رايكس) إلى الغابة ليشرح لها كيفية تفجير قنابل البلاستيك التي ستكون مسئوليتها في أثناء العملية :

- إن العملية ستنجح - قال لها مطمئنًا - ولن نحتاج إلى تفجير القنابل .. لكن يجب أن تكوني واثقة من نفسك ومن قدرتك على التفجير .. وكذا يجب عليَّ أن أكون واثقًا من قدرتك هذه .. حتى يكون لكلامي معه مصداقية تامة ..

- لكنك قلت أننا لن نفجرها !

- هذا لأنني واثق أن القبطان سيفضل حياة الركاب على بضعة كيلو جرامات من الذهب .. هذا واجبه .. ولو لم يفعل لقضى على مستقبله تمامًا ..

- كان يعرف في قرارة نفسه أنها ستطيعه طاعة عمياء .. وأنها ستقتل أي شخص إذا ما طلب هو ذلك منها ثم تنسى الأمر برمته بمجرد أن تصل إلى (نيويورك) ..

أما هي ..

فلم يكن يقلقها ما سيحدث فوق ظهر السفينة ..

كانت قلقة بشأن ما سيحدث عند وصولها إلى (نيويورك) .. كانت تريد أن تسأله لكنها عرفت أنه لن يرحب بالسؤال .. بل كانت هي أيضًا تخشى إجابته ...

* * *

- ١٢ -

ترك حقيبته فى الأمانات ، وملأ جيوبه بالأشياء التى سيحتاجها كالمسدس ومسدس (فيرى) الخاص بالإشارات ، ولم يأخذ معه ما يدل على شخصيته سوى جواز السفر وبه تأشيرة الدخول إلى (الولايات المتحدة) ..

كان سيحتاج هذه الأخيرة إذا ما فشلت العملية واضطر إلى البقاء على السفينة .. عندئذ كان سيدخل (الولايات المتحدة) كأى مسافر عادى ..

صعد إلى متن السفينة (كوين إليزابث) كزائر فى أثناء صعود الركاب إليها .. ثم هبط إلى الكابينة رقم (٤٠٠٤) ودق الباب ففتحت له (بيللا) ...

أفرغ جيوب معطفه فى خزانتها .. المسدسين .. القنابل .. ثم دعاها للصعود معه لدراسة السفينة لأنها أشبه بمدينة كاملة ، ومن الممكن أن تضل طريقها فوقها ..

وأشار إلى عقد اللؤلؤ حول عنقها :

- كنت ترتدين هذا يوم قابلتك أول مرة !

- كان يومًا سيئًا بالنسبة لك ..

هزّ كتفيه وغمغم :

- ليس سيئًا .. فقط جعل الأمور صعبة نوعًا ..

ابتسمت فى سرها .. صبرًا يا (بيللا) .. لا تتعجلى الأمور .. سيأتى اليوم الذى يكتشف فيه عواطفه نحوها ...

وفوق السطح مشت تتأمل كل الأماكن التى رأتها مئات المرات فى الرسوم البيانية .. هنا المكان الذى تلقى عنده بقنابل الغاز .. هنا النافذة الزجاجية التى تراقب من عندها تحميل الطائرة ..

من هنا ستراقب الإشارات الضوئية التى تخبرها أن كل شىء على ما يرام ..

وعادت لحجرتها فى حين ذهب (رايكس) إلى كافتريا السفينة فطلب مشروبًا لنفسه ، وشرع يرمق استعدادات السفينة للاقلاع .. بدأ التحرك ، وأخذت فرقة موسيقية تصدح بالأنغام العذبة بينما الأعلام الملونة ترفرف .. لم تكن مجرد سفينة .. بل هى مدينة عائمة تنبض بالسعادة .. سعادة غامرة كان على (رايكس) أن يهدمها ....

★ ★ ★

كانت (بيللا) فى الفراش تحلم ...

(ديفون) .. الحياة مع (رايكس) هناك .. يوم تصير مسز (بيللا رايكس) .. الدار الملأى بالأطفال تعنى بهم

مربيات حازمات .. وهى ستغير تسريحة شعرها وتتعلم قواعد السلوك القويم .. وتكون حياتها الباقية كنهر هادئ جميل .....

دق باب الغرفة .. كان القادم هو (رايكس) :

- هل أكلت ؟

- لا ..

- لابد لك من وجبة عشاء طيبة .. سأقضى الوقت هنا فإذا دق النادل الباب ، عليك أن تدخلى الحمام معى وتفتحى الدوش ثم تخرجى رأسك من باب الحمام وتسأليه عما يريد ..

كان هذا ضروريًا لأنه - بالنسبة لطاقم السفينة - لم يكن (رايكس) بين الركاب . وهذا منطقى .. لأنه سيهرب فى (الهليوكوبتر) ، فليس مستحبًا أن يعرفوا أنه كان مقيمًا مع (بيللا) فى قمرتها .. سيكون هذا هو طرف الخيط الذى يمكن أن يقودهم إليه دون كثير عناء ...

وفى الثامنة مساء جاءت مكالمة هاتفية لـ (بيللا) :

- صحة العمة العجوز لا بأس بها ..

بمعنى آخر : سرعة الرياح مناسبة للعملية هذه الليلة .. وكان هذا مناسبًا لأن السفينة بدأت فى هذه الساعة تدخل مياه (المانش) ..

هواء النيل البارد يداعب وجه (رايكس) حيث وقف يراقب أنوار (لوهافر) عن بعد ..

ظل يجوب السفينة لمدة ساعتين ، ثم نزل إلى قمرة (بيللا) ـ ولم تكن هى هناك ـ فأخذ المعطف والقفازين والمسدس ومسدس (فيرى) والخراطيش ..

وبحركات آلية توجه إلى القسم الخاص بطاقم السفينة ..

الساعة جاوزت منتصف الليل بعشرين دقيقة ..

عند باب القبطان أخرج وشاحًا لفه حول نصف وجهه الأسفل وفتح الباب ....

كان الباب المؤدى إلى غرفة نوم القبطان مفتوحًا .. وبينما هو يتأهب انفتح الباب وخرج القبطان بكامل ثيابه يدندن لنفسه .. ثم رأى (رايكس) فتصلّب .. ذلك الوجه البشوش الأشيب بلحيته الصغيرة المنمقة .. الوجه الذى تخيله (رايكس) من الصور مرارًا ... وبصوت هادئ قال (رايكس) :

ـ أقترح أن تجلس وتصغى لما سأقول ..

ولوّح بالمسدس .. وأردف :

ـ أنا لا أمزح يا سيدى .. ولو أنك لم تنصع لأوامرى فسيقتل عدد لا بأس به من الركاب .. لذلك أرجو أن تجلس وتضع يديك حيث أستطيع رؤيتهما ..

- لا تضيّع وقتك فى الكلام المهذب يا رجل .. فقط قل ما تريد ..

- هذه السفينـة تحمل سبائك ذهب .. ولدىّ طائرة عموديةً تحلق بانتظار رفع طن من هذا الذهب إذا أنت أصدرت أوامرك بحمله إلى السطح ..

- سأراك فى جهنم قبل أن .....

- إذن .. هناك شريك لى على ظهر هـذه السفينـة ينتظر إشارة منى وإلا سيقوم - وسط الزحام - بتفجير ست قنابل تحوى غازًا سامًا يبيد الركاب ..

- وإذا أنا رفضت ستموت أنت أيضًا ..

- طبعًا لكن من قـال لـك أننـى غير مستعد للموت ؟ سأموت .. لكنك لن تستطيع أبدًا تبرير إنقاذك للذهب على حساب أرواح من سيموتون ..

سكت القبطان برهةً .. وغمغم :

- إن أمثالك يملئون عالمنا هذا اليـوم .. وأنـا لا أجد متعة فى صحبتك ..

كـان (رايكس) يحترم الرجل .. الرجل الكـفء ذا الخبرة فى مهنته التى تعدت ثلاثين عامًا .. الرجل الـذى وضعه فـى مـأزق بين الإحسـاس بالمسئولية وكراهيـة القرصنة ..

قال (رايكس) :

ـ والآن تخرج المفاتيح ونصعد إلى غرفة القيادة حيث تقلل السرعة وتواجه الريح لتتمكن (الهليوكوبتر) من التحليق .. بعدها ترفع إلى السطح صناديق تحوى ثمانين سبيكة من الذهب .. سيتم هذا بمعونة خمسة من رجالك .. بعدها أصعد إلى الطائرة وسيظل التهديد قائمًا حتى نرحل ..

ـ وهل يذهب شريكك معك ؟

ـ بالطبع لا .. لابد أن يبقى لحماية ظهرى .. لكنك لن تتعرف عليه أبدًا .. وسيرحل فى (نيويورك) وسط عشرات الأبرياء الآخرين ..

دون كلمة أخرى تناول القبطان المفاتيح ، وأشار إلى المسدس فى يد (رايكس) :

ـ إخف هذا .. فلن أذهب إلى قمرة القيادة وهو فى ظهرى .. وكان هناك أربعة رجال ينظرون فى دهشة ..

قال القبطان لأحدهم :

ـ مستر (دورمر) .. يؤسفنى أن أقدم لك ضيفنا غير المرغوب فيه .. بسببه نحن فى موقف يجبرنا على إطاعة أوامره مهما بدت غريبة أو شاذة .. مفهوم ؟

ـ نعم سيدى

أخرج (رايكس) مسدس (فيرى) للإشارات ووضع به خرطوشة واحدة وأمر أحد الرجال أن يطلق طلقة واحدة حين يصل لمقدمة السفينة ...

★ ★ ★

الضوء الأخضر يغمر السماء !...

رأته (بيللا) حيث وقفت عند مؤخرة السفينة .. وأدركت أنه فعلها .. فى الحال زال توترها المتزايد ..

نفس الضوء رآه (برنزر) من (الهليوكوبتر) التى تحوم على بعد ربع ميل ..

وأدرك ـ ومن معه فى الطائرة ـ أن (رايكس) فعلها .. فعلها كما اعتاد دائمًا ......

لقد بدأت لعبة النهاية ..



قال القبطان :

- مستر (درومر) أبلغ غرفة التحكم أننا مضطرون إلى تقليل السرعة حالا ..

وفى نفس اللحظة عاد إلى الغرفة الضابط بمسدس (فيرى) فأخذه (رايكس) منه .. ثم قال للقبطان :

- أشعل أضواء مقدمة السفينة

استدار القبطان متجاهلا له وقال للضابط الثالث :

- أطلب ضابط وردية الأمن وخمسة رجال خارج غرفة الإيداع ..

ما أن ذكر آخر كلمتين حتى التفت الضابط الأول نحوه غير مصدق .. على حين شرع الضابط الثالث ينفذ الأوامر .. كلهم كانوا يتحاشون النظر له فى احتقار ..

أدرك (رايكس) أنهم - بحق - مشمئزون منه .. وتمنى فى سره أن تتم العملية سريعًا قبل أن يحاول أحدهم شيئًا أحمق ..

- أضيئوا مقدمة السفينة ..

مدّ أحدهم يده إلى لوحة المفاتيح ، وبعد دقائق عمّ الضوء الباهر كل مقدمة (كوين إليزابث) .. قال القبطان :

- والآن .. ها هى ذى مفاتيح غرفة الإيداع يا مستر (دورمر) ستذهب هناك وتشرف على الرجال إذ ينقلون ثمانين سبيكة ذهبية إلى سطح المقدمة ..

وعاد الرجال يواصلون عملهم متجاهلين (رايكس) تمامًا ..

يالبرد العزلة يعتصر قلب (رايكس) !.. إنه خجل من نفسه .. هو المجرم الذى انتهك حرمة هذه السفينة العظيمة التى يفخر كل واحد من هؤلاء بها ..

وللمرة الأولى أحس أنه إنسان غير متزن .. شرير ..

هنا دوى صوت اللاسلكى :

- لقد وضعنا الذهب فى المصعد يا سيدى ..

نظر له القبطان فى إزدراء وقال :

- الآن لا داعى لوجودك هنا .. سنصعد معًا إلى السطح ..

قال (رايكس) محاولاً تمالك نفسه :

- علىّ إطلاق إشارتين ضوئيتين من هنا حين يستقر الذهب على السطح ..

مدّ الضابط الثالث يده وأخذ مسدس (فيرى) ومعه طلقتان .. وأمره القبطان أن يطلقهما حين تصل الصناديق للسطح .

وتقدم القبطان (رايكس) إلى سطح السفينة ...

بعد دقائق أضاءت السماء مرتين باللون الأخضر الساطع ....

★ ★ ★

رأت (بيللا) الوهج فأدركت أنه نجح ..

دائمًا ينجح .. كل كلماته تصير حقائق ...

رفعت حقيبتها إلى حافة السور ورمتها بما فيها من قنابل إلى الماء .. ثم أزمعت أن تعود إلى شرفتها ..

لم تكن تريد أن ترى عملية التسليم ..

لا تريد أن تراه وهو يحلق بعيدًا عنها إلى السماء حيث يغيب بين السحب المظلمة بعيدًا .. ربما للأبد .....

من الأفضل أن تتعلق بالأمل وأن تعود لغرفتها ..

★ ★ ★

تعالى صوت هدير مراوح الطائرة حتى صار يصمّ الآذان .. ومن مكانه استطاع (رايكس) أن يرى بابها الجانبى وقد فتح وتدلى منه خطاف .. واستطاع أن يرى وجه (برنزر) العزيز .. وأن يرى رجلاً لا يعرفه يمسك بشبكة يلقى بها فوق السطح ....

قال (رايكس) للقبطان فى حزم :

ـ عشرة صناديق فقط فى كل شبكة ..

وأصدر الرجل أوامره ففرد الرجال الشبكة وشرعوا يلفون الصناديق فى قلبها .. ثم ابتعدوا بعد أن ثبتوا الخطاف فيها .. وشرع السلك يرتفع لأعلى ...

★ ★ ★

رجلان يريان المنظر من نافذة المراقبة :

ـ ما هذا ؟.. يبدو الأمر كأنها سرقة بالإكراه !!

- لا تكن غبيًا ..

- لكن ذلك الرجل .. إنه يضع وشاحًا على نصف وجهه .

- ربما ليتقى البرد .. إن كل شىء على مايرام .. القبطان هنا وضابط الأمن .. لا توجد مشاكل ..

★ ★ ★

فى الحال رمى ركاب الطائرة شبكة أخرى ، على حين شرعوا يدخلون الشبكة الأولى داخل الطائرة ..

نظر (رايكس) إلى ساعته .. إن العملية تسير بدقة تامة .. كما أن فكرة استخدام شبكة جديدة فى كل مرة جيدة حقًا .. ووفرت الكثير من الوقت ...

كانوا قد رفعوا الشبكة الرابعة وانتظر (رايكس) أن يدلوا الخطاف ليرفعوه ..

وكان (برنزر) يلهث غارقًا فى العرق بينما هدير المحركات يصم أذنيه .. فى السادسة صباحًا يكون فى جنوب (فرنسا) الجميلة .. من يدرى ؟.. ربما لن يعود إلى (إنجلترا) أبدًا .. لا يهم .. فهو قادر على الاستمتاع بالحياة فى كل مكان .. لا مثل (رايكس) السمكة التى تموت لو غادرت أنهار (ديفون) .. (رايكس) الحبيب .. (رايكس) الأخ والصديق .....

انحنى ليدلى بالخطاف إلى (رايكس) ...

أحس بدافع ما يدعوه إلى أن ينظر للوراء ..

وحين نظر رأى المسدس مصوبًا على بعد قدم واحد إلى ما بين عينيه .. وسمع الرجل الذى معه يقول :

ـ معذرة يا زميل .. الأوامر هى الأوامر !

ولم يتسع الوقت كى يفهم (برنزر) الحقيقة .. إن هى إلا طلقة واحدة قذفته إلى الوراء .. من باب الطائرة المفتوح ...

هوى لأسفل وقد فرد ذراعيه وساقيه .. ليصطدم بسطح السفينة مهشم الأوصال ......

وفى السماء ارتفعت (الهليوكوبتر) ببطء مالئة الكون بضوضائها ، واستدارت محلقة نحو الغرب ..

حتى غابت عن العيون ...

★ ★ ★

الأسى ثم الدهشة ثم استيعاب الموقف !

كل هذا دار فى عقل (رايكس) الذى لم يشلّه ما رأى ..

وقبل أن يتحرك أحد .. قبل أن يصرخ أحد .. كان قد أخرج مسدسه وهرع يركض إلى مدخل السطح .. ثم ممر يؤدى إلى جناح الطاقم .. وبينما هو يجرى خلع معطفه واللثام .. وعلى الدرج نزل طابقًا .. ثم مشى بهدوء ...

إنه الآن مجرد راكب عادى لا يعرفه أحد ..



هوى لأسفل وقد فرد ذراعيه وساقيه .. ليصطدم بسطح السفينة مهشم الأوصال ..

إتجه إلى قمرة (بيللا) .. إنها الواحدة صباحًا .. استند إلى الجدار ومسح جبينه من العرق المنهمر ..

لقد قتل الأوغاد (برنزر) أمام عينيه .. خدعوهما كطفلين .. لماذا لم يخطر له ذلك ؟.. ياللخيانة !..

هل يخطو إلى قمرة (بيللا) ؟.. هل من حقه أن يورطها معه ؟.. إنه فى محنة .. محنة حقيقية ..

لقد تخلى الحظ عنه وتخلى الناس ..

هذه الليلة - فى غرفة القبطان - عرف حقًا قدر نفسه .. وموضعه بين الناس الشرفاء المكافحين ....

أولاً النقطة الحمراء فى (الكتالوج) .. ثم عقم (مارى) .. ثم خيانة (ماندل) ..

لكنه لن ييأس ...

إن ذهنه متوقد ولديه المهارة الكافية للخروج من هذا المأزق .. هذه المصيدة العائمة ....

تعهد أمام نفسه - لو نجا - أن يتزوج (بيللا) ويحبها بكل كيانه .. ستغدو أمًا لأطفاله ..

كان باب القمرة مفتوحًا ..

وحين دخل القمرة أدرك أنه قد قدم هذا التعهد بعد فوات الأوان ......

★ ★ ★

- ١٤ -

بدت وكأنها نائمة حيث رقدت بقميصها الحريرى الوردى على الفراش ، وقد مال رأسها قليلاً إلى اليسار ..

الفارق الوحيد بين حالتها وحالة النائمين هو أن عينيها كانتا مفتوحتين .. وأن ثقبًا أحمر مستديرًا توسط جبينها وقد سال منه خيط دم رفيع نحو حاجبها ..

نظر (رايكس) إلى اليمين ..

إلى الرجل الواقف جوار الفراش ، بقامته الفارعة وشعره الرمادى وقامته المنحنية إلى الأمام كصقر عجوز .. وفى يده اليمنى مسدس كاتم للصوت ...

همس (رايكس) بصوت خافت :

- ولكن لماذا ؟

قال (ماندل) وهو يداعب زهرة بيضاء فى عروة سترته :

- لأنها كانت جزءًا منك مثلها مثل (برنزر) .. لقد صعدتُ إلى السفينة عند (لوهافر) وراقبت تنفيذك للعملية بإعجاب شديد .. أنت موهوب حقًا ..

- إذن لماذا تقتلنا ؟

تقدم (ماندل) - والمسدس فى يده - نحو (رايكس) .. مدّ يده فى جيبه وأخرج المسدس الآلى فدسه فى جيبه هو وقال :

- أنظر إلى وجهى .. سترى الشبه بينه وبين وجه (سارلنج) قبل أن يتشوه .. كنا سبعة أشقاء وكان هو أقربهم لى .. لذلك صممت على الانتقام من قاتليه .. لقد قتلنا (برنزر) .. ثم هى .. والآن أنت .

- لم يكن لهذه الطفلة ذنب ..

ابتسم (ماندل) ولم يعلق .. اكتفى بالقول :

- وداعًا يا مستر (رايكس) !

★ ★ ★

فى نفس لحظة الإطلاق وثب (رايكس) نحوه ..

أصابته الرصاصة فى الكتف الأيسر فسقط أرضًا من الصدمة .. لكنه تمالك نفسه وأمسك بكاحل (ماندل) ليسقطه أرضًا ...

ووجدت يدا (رايكس) رقبة الرجل ..

أطبقت أصابعه الفولاذية - التى تربت على العمل فى المزرعة - على العنق النحيل وشرعت تضغط .. تضغط .. حتى غارت الحياة من جسد (ماندل) الذى تراخى تمامًا ..

رقد (رايكس) ينزف الدم ويجاهد من أجل التنفس .. ثم فتح عينيه ، والتقط المسدس من يد (ماندل) وصوبه ما بين عينيه وأطلق رصاصة تأكيدية ..

أمامه الآن شيئان : أن يموت دون أن يترك أثرًا يقودهم إلى إسم (رايكس) فيلطخونه بالعار .. وألا يدع لأحد فرصة للربح من هذه العملية ..

زحف إلى حقيبة (بيللا) فأخذ قلمًا من الحبر .. وورقة وكتب بوضوح :

سيدى القبطان :

هذه السطور كتبها الضيف الثقيل الذى حلّ على سفينتك .. أبلغ السلطات الفرنسية أن سبائك الذهب سيتم تخزينها فى قلعة (ميريا) بقرية (لودياك) فى (بريتانى) .

ووضع الرسالة فى مكان ظاهر .. ثم انحنى ليلثم يد (بيللا) ..

لو كانا قد نجيا لأخذها زوجة له فى (ألفرتون) لتعيش معه فى سعادة أبد الآبدين ...

سار فى الدهليز الخالى رغم علمه أنهم يفتشون كل شبر من السفينة بحثًا عنه .. فهو لا يخشى شيئًا الآن ...

وصل إلى السطح رقم (١) فمضى يمشى تحت رذاذ الأمطار ...

ووقف يتأمل البحر ....

(برنزر) .. (بيللا) .. (مارى) ..

(ألفرتون مانور) ..
النهر .. والأسماك الفضية اللامعة ...
شعر بسلام نفسى وهو يتسلق الحافة ويثب لأسفل ..
وقبل أن يلمس جسده الماء تذكر كلمة أبيه :
ـ ناضل الماء يصبح عدوك .. دع نفسك له يكن صديقك .
.. ولقد ترك نفسه للماء ....
تركه يهبط به لأسفل ..
بنعومة .. بنعومة

فكتور كاتنج
١٩٦٩

[تمت بحمد الله]

★ ★ ★

رقم الإيداع : ٢٥٥٧
٩٧٧ـ١٦٣ـ٣٩٤ـ٥

المطبعة العربية الحديثة
٨ و ١٠ شارع ٤٧ المنطقة الصناعية بالعباسية
القاهرة ـ ☎ ٢٨٢٣٧٩٢ ـ ٢٨٣٥٥٥٤

روايات عالمية للجيب

مكتبة متكاملة
لأشهر الروايات العالمية

قبضة الشيطان الذهبية

التقاعد فى قمة النجاح شىء رائع .. وكان (رايكس) من الأذكياء القلائل الذين عرفوا نقطة التوقف .. لكنه قابل من أجبره على الاستمرار .. أجبره على الاشتراك فى عملية أخيرة ..

إن التقاعد فى قمة النجاح شىء رائع .. أما الفشل بعد هذه القمة فشىء مروّع ! .. وكان (رايكس) من هؤلاء الفاشلين .... !

12

ثمن فى مصر ١٢٥ مـ
مايعادله بالدولار الأمريكى
سائر الدول العربية والعالم

العدد القادم
الأعماق

